كتاب
الصحائح في جواب النصائح

تصنيف

الشماس المكرم الجليل الشيخ الصفي
ابن الشيخ فخر الدولة ابي الفضل
ابن العسال
نفع الله تعالى بعلمه وتغمده بالرحمة والرضوان آمين

طبع سنة ١٦٤٣ للشهداء الاطهار
على نفقة
مرقس مرجس
صاحب المكتبة الجديدة بشارع كلوت بك
نمرة ٥٥ بمصر

ثمن النسخة ١٠ صاغ من الورق الجيد
و٦ من الورق العادة

مطبعة عين شمس بمصر

المقدمة

(منزلة صاحب هذا المؤلف في عالم الدين والأدب)

هو الشيخ الأمجد الصفي كاتب ديوان الجيش أخو الشيخ مؤتمن الدولة أبو اسحق وأخو الشيخ الأسعد أبو الفرج هبة الله (وان صحت النسبة كما في مقدمة « كتاب ترياق العقول في علم الأصول » فيكون أخ أو قريب الأب بطرس المعروف بالسدمنتي) ابن أبي الفضائل اسعد بن اسحق ابرهيم بن سهل جرجس ابن أبي بشر يوحنا الكاتب المصري

بزغ هلاله مع أخويه في ختام الجيل الثاني عشر للمسيح واكتمل بدرهم في معظم الجيل الثالث عشر في مصر المحروسة وكانت له شهرة عظمى وقدح معلى في المعرفة والعلم بكل فرع منها وقد خلف عدة مؤلفات في مواضيع مختلفة وصل الينا منها هـذا الكتاب بعد ان انقطع الأمل من العثور عليه الا ما ورد منه في كتاب أخيه المدعو (مجموع أصول ومسموع محصول اليقين) ثم كتاب مجموع القوانين المطبوع ومختصره يدعى كفاية المبتدئين في علم القوانين لم نقف عليه وارجوزة في الميراث مطبوعة ونبذة في

الاوقاف مطبوعة وكتاب نهج السبيل في الرد على من قدح في الأنجيل الملحق بهذا وكتاب قواعد حساب السنين والاعياد والمواسم وارجوزة بهذا المعنى . وحواش على مناظرة يحيى بن عدي السرياني مع عيسى الوراق . وأجوبة قاطعة على اعتراضات عبد الله الناشيء والامام فخر الدين ابن الخطيب وقفنا على شذرات منها في كتاب أخيه المتقدم الذكر وغير ذلك من خطب سجعية دينية وأدبية

أما هذا الكتاب الذي نحن في موضوع صدده والملحق به فيقول كاتب النسخة التي أخذنا عنها انه (نقل عن نسخة بخط حنّ الله غطاس الذي كان متوظفاً في ديوان الجوالي بمصر في تاريخ ١١٢٦ هلالية . قال في حاشية انه نقل نسخته عن نسخة بخط القس الرشيد نصر . قال هذا انه نقل نسخته عن نسخة المؤلف نفسه)

الحمد لله الواحد الذات الكامل الصفات المقدس من العقول المتفقة باللغات المختلفات . نشكره على ما هدانا اليه وعاضدنا عليه من كمال الايمان والاعمال . ونسأله التوفيق والاسعاد في الافكار والاقوال والافعال والآمال . ونستشفع عنده برسله الذين استنقذ بهم أصناف الناس من أنواع الضلال . الى شريعة الفضل والكمال . وذلك بقرن الايات لقولهم على تصديقهم القهر العجيب . لا باخذ وجه الباطل التي يجمعها الترهيب والترغيب . وبعد فانه كان قد اجتمع بي أنا أحقر عبيد الاله وأكثرهم معرفة بنقصي من له عليَّ فضل وهو لكل خير أهل ورسم أن أتامل هذا المصنف واستنابني في الاجابة عنه لاشتغاله بالامور الديوانية . ووضع لي الاجابة في حواش بعضها بالقوة وبعضها مجملة . وجعل غايتي اظهارها بالفعل مفصلة . فتأملت اوائله وتصفحت باقيه فوجدته كلام من لم يكن له سابق نظر في علم ازاء مذهب النصارى ولا في العلوم الحكمية المنطقية بكيفية الاستدلال وشروط التناقض وتمييز الممكن من الممتنع وانما غايته أنه فهم من اعتقادنا وأصوله غير ما نعتقده وتأول نصوص كتبنا بخلاف ما نتأوله ورام تأمل الحق من ناظر عقله فظنه باطلاً واستوحش بالوهم والحدس مما تأنس اليه العقول السليمة من الهوى فرد مافهمه وتأوله وظنه واستوحشه فهو معذور لكونه على ماذكر قصد تنزيه الاله عن وصفه بما رأى أنه نقص في كماله وهو ملوم لانه اقدم على ما لم يتأهل لامثاله . فقلت يكفينا اجابة شيخنا يحيى بن عدي الفيلسوف لابي

عيسى الوراق المتكلم في الكتاب المشتمل على ثلث مائة وخمسين فصلا في الاقانيم والاتحاد ومقالاته ومقالات تلاميذه في امكان التأنس ووجوبه وغير ذلك من الكلام في اصول مذهبنا . ثم كتاب ابرهيم بن عون في حل الشكوك وكتب القديسين والعلماء في تأويلات كتبنا مثل فم الذهب وابن الطيب فلا نشغل زماننا وهو قصير بما غايته التكرار . فتذكرت قول الله تعالى ان الطاعة أفضل من القرابين ورجوت انتفاع أهل الوقت بما يلايمهم من العبارة والتلخيص لا سيما المشتغلين بالضرورات العالمية عن البصريات العلمية فخضعت للمرسوم المطاع . واستعنت بالقايل ان كلاً للمؤمن مستطاع .

الفصل الثاني

في الامور المفيدة في هذه الاجابة وهي عشرة أصول

(الأصل الأول)

إنا معشر النصارى نؤمن بان الاله سبحانه ذات واحدة وصفاته كثيرة ونصفه باوصاف الكمال اللائقة به تعالى المعلومة من العقل بمفرده ومن مبتدإ التشريع وآخره وهذه منها موجبة كالازلي ومنها سلبية كقولنا هو قبل المخلوقات ومنها مركبة منهما كقولنا هو الاول لان الاول يتضمن معنيين احدهما أنه ليس قبله غيره والآخر أنه قبل

غيره ونحن والفلاسفة والمسلمون واليهود متفقون في وصفه تعالى بهذه الاوصاف الثلاثة الثبوتية كقولنا أنه قادر وانه مريد وانه حي اعني أن هذه الصفات التي هي القدرة والارادة والحياة قائمة بذاته تعالى وصفه الواصف بها أو لم يصفه وجدت غيرها أو لم توجد . وان وجدت فليست كالاوصاف الثلاثة المتقدمة والفلاسفة والمعتزلة من المسلمين لا يخالفون هذه ولا ينكرونها والدليل على انها غير الذات أنها كثيرة ومختلفة والذات واحدة وبسيطة . والدليل على انها غير اضافية أن وجودها ليس مشروطاً بوجود غيرها ومركبة من الثبوتية والاضافية كقولنا هو عالم لان العلم يتضمن معنيين احدهما القوة على العقل كالصقال للمرآة والآخر تعلق هذا المعنى بالعلوم

(الاصل الثاني)

الذوات أما بسيطة وأما مركبة فالبسيطة نصفها بما يصدق عليها من الاوصاف المقدم ذكرها والمركبة نصفها من جهات ثلاث الاولى من جهة اجزائها فنصفها بجزءها كقولنا الانسان حيوان وبجزء جزئها كقولنا الانسان جسم لان الجسم جزء الحيوان وباجزائها مفترقة كقولنا الانسان حيوان ناطق وباجزائها مجتمعة كقولنا هذا أبيض لان الابيض مجموع الذات والبياض والجهة الثانية من حيث جملتها كقولنا السكنجبين يدفع الصفرة فان السكر بمفرده والخل بمفرده لا يدفعانها والجهة الثالثة من جهة أعراضها .

أما أعراض اجزائها كقولنا زيد طويل زيد مفكر فالطول صفة لجسمه وجسمه جزء والتفكر صفة لنفسه ونفسه جزء وأما اعراض جملتها كقولنا زيد كاتب بالفعل فان الكتابة بالفعل لاتخص النفس بمفردها ولا الجسم بمفرده وانما تخص الانسان الذي هو جملتها وصحته اتصاف الكل بصفة جزئه لان الشيء يوصف بما يوجد فيه وله . وصفة الجزء موجودة في الجزء وله والجزء موجود في الكل والموجود في الموجود في الشيء موجود في ذلك الشيء . وهذا كقولك الدرة في الحقة والحقة في الصندوق والدرة في الصندوق والعلماء مجمعون على صحة ذلك

(الاصل الثالث)

المركب اما أن يكون تركيبه طبيعياً أو صناعياً والطبيعي اما أن يتركب من جواهر كتركيب الانسان من مادته وصورته أو من اعراض كالبلقة والسمرة كالابلق والاسمر والاول منه ما توجد اجزاؤه مفترقة في الوجود الخارجي اعني اجزاء الهيولانيةوالصورية كالخشب والشمع ومنه ما يكون احد جزئيه موجوداً مع صورته ثم تعدم تلك الصورة ويحصل بدلها صورة أخرى فان جسم البلحة تحصل منه الصورة التمرية بعد البلحة ومنه ما يكون احد جزئيه موجوداً مع صورته ثم تقترن به صورة أخرى مع بقاء الصورة الاولى كما قيل في التوراة ان الله جبل آدم من الارض ثم نفخ فيه

نسمة الحياة . وتركيب الحقيقة المسيحية شبه هذا القسم لانها متقومة من اله وأنسان لم تحتج الى مركب مفارق بل اختصت بان أحد جزئيها وهو الالهي فعل جزءها الآخر وهو الانساني وفعل اتحاده به في وقت واحد . وكذلك لما كان القنوم مركبًا من الذات الالهية واحدى صفاتها الذاتية لم تحتج الى مركب مفارق ولهذا لم ينتظم في القضية المشهورة ان كل مركب محدث . وهذا يسمى تركيب الصفة والموصوف فظاهر ان مفهوم القادر مركب من الذات مع القدرة ولم يقل احد أن القادر تعالى محدث . كما أنه لما كان احد جزئي القادر وهو الذات علة لجزئه الآخر وهو الصفة لم يقل أحد أن القادر المركب منهما معلول حذراً من توهم انه بجزئيه معلول . كذلك لما كان أحد جزئي المسيح وهو الاله خالق لجزئه الآخر وهو ناسوته كرهنا القول بان المسيح المركب منهما مخلوق ومحدث وما يجرى هذا المجرى مما لم تصرح بذكره الشريعة الا حذراً من توهم انه بجزئيه مخلوق ومحدث وما يجرى مجرى ذلك

(الاصل الرابع)

الالفاظ تدل بالوضع لا بالطبع اعني ليست دلالة اللفظ على معناه كدلالة طنين النحاس على النحاس ونهيق الحمار عليه فكل لفظة صالحة لان توضع موضع الاخرى ابتداء للدلالة على ما وضعت الأخرى دالة عليه وكذلك صفة اللفظة الواحدة الدالة على معان

كثيرة وتسمى المشتركة والالفاظ الكثيرة الدالة على معنى واحد وتسمى المترادفة ولذلك قيل ان كلا يعني بلفظه ما شاء . ونحن نعني بالابوة والبنوة في الأقانيم غير ما نعنيه بها في المتناسلين . والحقيقة في اللفظ ان يدل بحسب اصل وضعه في اللغة . كذلك لفظة الانسان على الانسان الطبيعي اعني الحي الناطق . والمجاز هو أن يدل بالاستعارة [illegible] بسبب مشابهة كدلالة لفظة الانسان على الانسان الذهني في العرف الخاص وكدلالتها على الانسان الصناعي في العرف العام . وان كان المستعير والناقل هو الشريعة كان اللفظ بالنسبة للغة مجازاً وبالنسبة للشريعة حقيقة كلفظة الصلوة فانها في اللغة العربية تدل على الدعاء كيف كان فنقلتها الشريعة الى ما هو مركب من توجه مخصوص وقيام وسجود وتمجيد وشكر ودعاء واقرار . ولما كانت اللغة انما وضعت الاسماء للاسباب الظاهرة للجمهور لا للمعاني الخفية التي تنظر فيها العلماء كان المجاز في العلوم كثيراً لا سيما الالهية لاسيما ادقها واغربها . وليس المجاز يقابل الحق والا لكان باطلاً وانما الفرق بينهما كثيراً وهو ان الحقيقة تقال على ماوضعه اللغوي أولاً والمجاز يقال على ما استعير من ذلك ثانياً بسبب مشابهة أو مناسبة بين المستعار منه والمستعار له والشريعة انما هي تعليم الاله للناس الامور الالهية . ولما كانت الامور الالهية من الغائبات عن الحواس ولم يمكن ان تفهم الا بما بينها وبين المحسوسات من المشابهة والمناسبة وجب استعمال المجاز والامثلة من

تفهيم مقاصدها . ولهذا جاءت الامثلة في النبوات والانجيل كثيرة فخاطب الاله الناس مما الفوه ليفهم الجمهور عنه بالفاظ لائقة بهم لا به وهذا كما يخاطب الانسان بعض الحيوان بما ألفه فيحرك الدابة تارة ويوقفها أخرى ويطرد الكلب تارة ويستحضره أخرى باصوات لائقة بالحيوان لا بالانسان . وأيضاً خاطبهم على السنة الناس بما يمكن الناس أن يوردوه الناس من الخطاب . وأيضاً لما كان الجمهور من الناس يعتمدون في تحقيق وجود الاشياء على حواسهم وكانوا لا يدركون بحواسهم موجوداً الا الاجسام واعراضها ارشدتهم الشريعة الى وجود الاله بتخييل الجسمانية والى انه حي بتخييل الحركة اذ ليس عندهم من معنى الحي غير الحركة وما ليس يتحرك بالارادة فليس بحي ولذلك فان الادراك المتعارف بيننا هو الحواس. ولا يتصور ببادىء الرأي انتقال المعنى من نفس احدنا الى نفس الآخر الا بالكلام . فلما أرشدنا تعالى الى انه مدرك تصل منه معاني الانبياء ليوصلوها الينا وصفوه لنا انه يسمع ويبصر ويتكلم ولما أدرك الجمهور ان هذه الافعال كلها انما تكون بآلات جسمانية استعيرت له تعالى تلك الآلات فمن كونه متحركاً بأرادة وفاعلاً وحاساً أي مدرك المحسوسات استعير له تعالى الرجل واليد والعين والاذن للدلالة على أنه موجود حي خالق عالم . فمن مجموع هذا الاصل يتفسر لنا ما كتب في العتيقة عن الاله تعالى من انه غضب وسخط على من عصاه اذ ظهر منه فعل الانسان الغضبان

الساخط وهو اهمال المغضوب عليه وعقاب المسخوط عليه ففعل هذا تعالى بتقدير واجب وتدبير حكمي على أنه تعالى لا ينفعل بالغضب الذي هو غليان دم القلب وانزعاج الروح الحيواني وحركته الى خارج حتى أن وجه صاحبه يسودّ وتصدر عنه حركات من غير اختياره . وايضاً أنه تعالى أوتر قوسه وأعد آلة الموت كالانسان اذا تهدد وازمع القتل لاعلى أنه تعالى اتخذ هذه الآلات بعينها . وأيضاً لما عزم على إبادة اشخاص الناس بالطوفان وانشاء غيرهم قال انه ندم على خلقة الانسان اي ظهر منه فعل الانسان اذا ندم على فعله فرجع عنه الى غيره ومثل قوله في النبوات والتوراة انه تعالى ابصر وسمع وشم ونام وقام ومشي وركب ونزل وصعد فكل هذا وامثاله انما يراد به أنه مدرك للمحسوسات اي عالم بها لا انه مدرك ومتحرك بهذه الآلات الطبيعية ولا منفعل بالمدركات.
وكل من بيده شريعة منسوبة لله تعالى فهذا موجود في كتبه كثيراً ومن اعتقد انه تعالى غير جسم فلا بد له من هذه التأويلات وكذلك يتفسر لنا من كتب الحديثة ايضاً عن الابن من كونه خرج من الاب واتى الى العالم وأُرسل من الاله الناس في الزمان الفلاني اي ظهر في ذلك الزمان في العالم للناس بعد ان لم يكن ظاهراً لهم فيه وخاطبهم عن الاله وانهم لا يدركونه بما لم يكونوا سمعوه. فلما اشبه ذلك حال الخارج من مكان الى مكان والمرسل من الاله الى الناس قال خرج وارسل لا على انه فارق من

خرج منه فلهذا قال ومن ارسلني هو معي. ولا لانه لم يكن موجوداً قبل ان يظهر للناس حيث ظهر لهم لان الانجيل شهد انه لم يزل موجوداً في العالم. ولفظ الخروج والانتقال وان كان في حق الابن قريباً من ظاهر مفهومه لكونه تأنس وجاز وصفه بذلك من جهة تأنسه وهو بعيد في حق الروح القدس اذ لم يتأنس وقد كتب في الانجيل عنه ايضاً انه خارج من الاب ومرسل من الاب والابن فلا يصح هذا الا بمعنى انه ظهرت آثاره الخاصة بالاله من الذين أُرسل اليهم لا على انه لم يكن موجوداً معهم قبل ظهور اثاره منهم. فان المسيح قال لتلاميذه لما وعدهم بارسال الروح اليهم لانه (مقيم عندكم وثابت فيكم) وقد نطقت النبوة الداودية بهذا الارسال من قبل قال (ارسل كلمته فشفاهم وترسل روحك فيخلقون). واعلم ان لغرض التأويل والتفسير رتب الله في بيعته العلماء بعد الرسل والانبياء قبل عاملي الايات كما قال الرسول وغرضه من ذلك تعليم الناس ارادة الله والكلام الالهي غير ظاهر للكل ولهذا قال بطرس الرسول (لم تأت قط نبوة تأويلها فيها لكن اناساً تكلموا بالروح القدس) والرسول لا يدوم وجوده مع وجود كلامه ليعرف الناس دائماً مراد الله منه فاحتيج الى العلماء ليعلموا الناس مستمراً غرض كلام الرسول عن الله حيث لايوجد الرسول ولهذا قيل العلماء ورثة الانبياء وهم اعني العلماء فهموا الغرض بامرين احدهما تناقلهم مقصود الكلام الذي اورده الانبياء عن الله خلفاً عن سلف

ولهذا امر الرسول تلميذه ان يثبت على ما علمه له وان يعلمه لمن يمكنه ان يعلم غيره . والآخر اجتهادهم في فهم عويص كلام الكتاب من غرض المتكلم به المعلوم من مجموع كلامه في كتبه فبعض المواضع اذا فهمت على ظاهرها ادت ضد غرض المتكلم بها وقد تناقض غيرها من كلامه. ولهذا قيل (الكتاب يقتل والروح يحيي) أي أن الروح المحيي اذا ألهم الانسان بمعنى كلام الله الموضوع في الكتاب فقد احياه لان الانسان اذا حمل بعض قول الكتاب على ظاهره واعتقده وكان ضد غرض المتكلم به فصار قاتلاً له . ويدل على ورود الكلام الالهي في النبوات والانجيل بالرموز والامثال قول الرسول لم تأت قط نبوة تأويلها فيها وقول الانجيل (وبغير مثل لم يكن يكلمهم) وقوله (وكان يخاطبهم على قدر ما كانوا يطيقون سماعه). وقوله (لاتعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وترجع لتمزقكم) . فاذن من جملة الغرض بالرمز تغطية المعنى الشريف عن غير مستحقيه وصون جوهره عمن يدوسه وكشفه لمن ينتفع به وينفع به غيره . ولهذا قيل (وكان في الخلوة يفسر لتلاميذه كل شيء) ثم وعدهم بتكميلهم بالروح القدس وان الروح يعلمهم كل شيء ويفهمهم كل ماقاله لهم. ولهذا انما يكشف المعلم الفاضل للمتعلم من معنى الكلام قدر ما ينفعه ويخاطب المتعنت بخطاب آخر والمعاند بخطاب آخر اتباعاً وطاعة للرب . فلو كانت

المعاني كلها مكشوفة للكل لاضرت البعض واستعملها بعض في اضرار بعض

وانظر لما وضع الله بعض الاثمار لبعض المتغذين كيف وقاها لهم من غيرهم بعضها بالاوراق والاشواك كالنبق والورد وبعضها بالسفا كسنبل القمح والشعير . هكذا عمل لما وضع هذه الثمرات الروحانية فوقاها بالرموز والامثال ولهذا سمى تعليمه الالهي غذاء روحانياً . وكما ان الغذاء الجسماني منه ما ينفع المرضى ولا ينفع الاصحاء ومنه ما يوافق الاصحاء ويضر المرضى ومنه ما يلائم الاصحاء في مباديء اعمارهم دون باقيها . كذلك هذا الغذاء الروحاني وكما أن من الناس من يقرب في غذائه الجسماني من مشابهة بعض الحيوانات الأخر في اغتذائها ومنهم من يتعالى على الانسانية في اغتذائه هكذا يختلفون في الغذاء الروحاني فالقسم الاول يستعمله كما تستعمل الحيوانات الأخر الغذاء الجسماني اذ تأكل السنبل جملة والقسم الثاني يستعمله كما تستعمل الناس الغذاء الجسماني اذا درسوا السنبل وذروه من تبنه وغربلوا القمح ونقوه من طينه ثم طحنوه وغربلوه من نخالته ثم عجنوه وخبزوه حتى صلح ان يكون للانسان غذاء. وبهذا الاجتهاد وصلوا بالكشف والتأويل الى فهم معاني الكتب الالهية واستفادوا منها الحياة الصالحة الروحانية ولهذا قال المسيح لليهود (فتشوا الكتب التي تظنون ان لكم بها حياة الابد فهي تشهد لي)

(الاصل الخامس)

لفظة الاله مشتركة عندنا تقال بالحقيقة الشرعية على الجوهر الالهي مفرداً وعلى كل أقنوم من الاقانيم الثلاثة بمفرده اذ الاقنوم هو الجوهر الالهي مع احدى صفاته الذاتية الشرعية وعلى الاله متأنساً وهو المسيح لوجود الاله فيه على ما سنبين في ثمرة الاصل الثاني . اذ المسيح هو مجموع الاقنوم الالهي مع الاقنوم الانساني . وتقال بالاستعارة على كل معبود غير مستحق للعبادة او معظم من الناس فاذا قلنا الاله ووصفناه بشيء من أوصاف الانسان فانما نعني بالاله المسيح وقد صح وصف المسيح بالاوصاف الانسانية . وكذلك لفظة الابن مشتركة بين الابن بالطبع والابن بالوضع والابن بالطبع هو ان يكون من نوع أبيه وطبعه والابن بالوضع هو أن يكون بينهما مشابهة في صفة او في مناسبة ما . ويتميز معنى كل منهما بقرينة اما لفظية او معنوية . فالمؤمنون بالله المتشبهون به تعالى في الاخلاق والاعمال حسب امكانهم قد دعيوا في الانجيل ابناء الله لانه قال عنهم : الذين ليسوا مولودين من دم ولا من هوى لحم ولا من مشيئة رجل لكن ولدوا من الله : وقال: كونوا كاملين مثل أبيكم السمائي فهو كامل : وتميز لنا ان هذه البنوة وضعية بقرينة معنوية وهي كونهم ليسوا من نوع الخالق وطبعه وبعدم القرينة الواردة للابن بالطبع . وأما المسيح فقد دعي في الانجيل بابن الله

قال الملاك عنه انه ابن الله يدعى وقال المعمد وانا عاينت وشهدت ان هذا هو ابن الله وقال المسيح للاعمى الذي شفاه انا هو ابن الله وسمع صوت من الآب قائلا(هذا هو ابني الحبيب له فاسمعوا) والرسل قالوا(وقد آمنا نحن وأيقنا انك انت المسيح ابن الله الحي) واليهود والامم دعوه ابن الله والشياطين كانت تصرخ وتقول(انت هو المسيح ابن الله (ولو سكتوا لنطقت الحجارة) كما قال لما سبحه الاطفال وانما قلنا ان بنوة المسيح لله لوجود قنوم الكلمة فيه حقيقة لا تفضلاً لانه قال (والله هو الكلمة والكلمة صار جسداً). وبنوة الاله الكلمة للاله الاب طبيعية حقيقية . وتميز لنا ان هذه البنوة كذلك بالقرينتين اما اللفظية فانه دعي في الانجيل الابن الوحيد ووحيد الجنس وهو وحيد الجنس بميلاده من أبيه اذ لايوجد ابن للاله غيره ووحيد الجنس من أمه اذ لايوجد مولود من أمرأة بغير رجل غيره . ودعا نفسه بابن الله ودعاه به جميع الناطقين اعني الملائكة والناس والشياطين . ودعا الناس الى الايمان بهذا الاسم بذاته وبرسله ومدح الذي اعترف له به وهذه الامور لم تجتمع لغيره وأما المعنوية فلانه وصف بالانجيل بالالهية وباوصافها من ازلية وغيرها و بينا هذا في جواب الناشيء . وفي هذا الأصل بقسميه يفسر لنا قول المسيح لتلاميذه (انا ماض الى ابي وأبيكم والهي والهكم) فهو ابوه بالطبع بلاهوته وابوهم بالوضع مطلقاً والهه من جهة اتضاعه والههم من كل جهة وقد أشار الى مغايرته لهم في جهة البنوة والالهية

بتفصيله لها ولو اراد اتحادهما ومساواتهما لقال أبونا والهنا

(الاصل السادس)

لفظة المثال تتضمن الغيرية لانها من المضاف والمضاف هو غير المضاف اليه فلا بد من اختلافهما بما ان احدهما غير الآخر ولو طابق المثال الممثل من كل جهة لكان هو هو ولعدم معنى المثال ومعنى الممثل من حيث هو ممثل لم يكن احدهما اولى من الآخر بان يكون مثالاً لغرض تشابههما من كل جهة ولا كان احدهما اظهر من الآخر عند المخاطب والغرض بالمثال انما هو تفهيم المخاطب به ما خفي عنه من الممثل ولهذا جعل المثال على قدر فهم المخاطب به وأُخذت مواد الامثلة من صناعة المخاطبين بها وبما هو مشهور عند الجمهور ولهذا تكون جهات المماثلة تارة اقل وتارة اكثر. وانما المثال يطابق الممثل من الجهة او الجهات التي يقصد قائله ثباتها في الممثل والجهة المقصودة هي التي ينبغي أن يحافظ عليها وأن يرد القدح فيها من الخصم ان امكن. فاذا كان الممثل خارجاً بذاته وصفاته عن الذوات الموجودة في هذا العالم وصفاتها او كان من المعقولات الخارجة عن المحسوسات وكانت المحسوسات ظاهرة للكل والمعقولات خفية عن الاكثر فانما يكون المعنى في المثال ان تشبيه كذا الى كذا في المثال من المحسوسات هو تشبيه كذا الى كذا في الممثل من المعقولات وحينئذ يجب للعاقل ان يأخذ صفات

المعقول غير المحسوس مناسبة له وصفات المحسوس مناسبة له .

وثمرة هذا الاصل ان نعلم إنا لما أردنا تفهيم كيفية اتحاد لاهوت المسيح بناسوته ومصيره واحداً منهما وكان هذا من الامور المعقولة الخفية ذكرنا له امثلة طبيعية وامثلة صناعية اذ لم نجد شيئاً آخر نمثل به ولا وجدنا في هذا العالم اتصالاً غير طبيعي او صناعي مع ان اتصال لاهوته بناسوته لاطبيعي ولا صناعي لكنه ابداعي . اما الامثلة الطبيعية فمثل تمثيلنا مصيره واحداً من اثنين احدهما لاهوته وهو بسيط والآخر ناسوته وهو كثيف وهما موجودان فيه من غير استحالة احدهما الى الآخر وهو غير كل واحد منهما على انفراده بكون الانسان واحداً من اثنين احدهما نفسه وهي جوهر بسيط والآخر جسمه وهو كثيف وهما موجودان فيه غير مستحيل احدهما الى الآخر وهو غير كل واحد منهما على انفراده لا على أن الممثل كالمثال متقوم من مخلوقين محدثين لم يوجد احدهما الآخر ويفعل به ويفارقه اضطراراً وأما الصناعية فمثل تمثيلنا باتصال الخل بالسكر في السكنجبين ومصيره واحداً منهما فهو غير كل منهما لا على ان الممثل كالمثال متقوم من جسمين مستحيلين قد تفاعلا بكيفياتهما وانحصر احدهما في الآخر وشاعت اجزاؤه في أجزائه . ولما كانت جهات المماثلة في الاول اكثر اعتمد عليه اكثر ولما كانت جهة المماثلة في الامثلة الصناعية اظهر عند الاكثرين اعتمد عليها في تفهيمهم

(الاصل السابع)

شروط التناقض ثمانية احدها المحمول والموضوع ٢ الاضافة ٣ القوة ٤ الفعل ٥ الجزء والكل ٦ الشرط ٧ المكان ٨ الزمان . وثمرة هذا الاصل أن نعلم ان كل قول خالف قولاً آخر وغايره أو كانا متقارنين او متقابلين او كان احدهما اولى من الآخر او كان الواحد حقاً والآخر باطلاً ولم يتم بينهما شروط التناقض لم يكونا متناقضين

(الأصل الثامن)

قد اجمع حكماء العقل والنقل على ان الكلام في العلم الالهي غير ظاهر بالكلية فافلاطون وهو من أفضل المتقدمين فلسفة وابن الخطيب وهو من أصدق المتأخرين علماً قالا ان العلم الالهي يوجد على سبيل الأولى حتى أن أفلاطون قرر في كتاب السياسة اخراج الذين يطلبون البرهان على الأمور الالهية من المدينة الفاضلة لكيلا يؤذوا النظار والاغمار بمطالبتهم بممتنع كانه ممكن وواجب وهذا لان الشرط في مادة البرهان ان تكون من المقدمات التي لا خلاف فيها بين جميع العقلاء وفي صورته ان تكون ضرورية الانتاج وما هو هكذا لا يقع فيه خلف بين العقلاء وان الخلف واقع في جميع الامور الالهية واولهم العقلاء فاما ان نبطلها جميعها واما ان نبطل

اشتراط الاستدلال عليها بالبرهان والاول هو الكفر الكامل والثاني هو الواجب الذي اقتضاه العقل والوجود لانا وجدنا بالعقل طباع الامور الالهية ممتنعة على البرهان كما تبين وانت ايها المؤمن واجد هذا المعنى نفسه في شريعتنا مصرحاً به فان بولس وهو الرسول القائل ان المسيح ناطق فيه قد قال (إنا لم ندعكم بحكمة الكلام والا لابطلنا صلب المسيح) وقال عن هذه الامور (انما ننظرها كالمثل وكمن ينظرها في مرآة وسنعاينها في ما بعد مواجهة) يعني بعد القيامة . وفم الذهب وامثاله قد أكثروا من ايراد هذا المعنى في كتبهم ولهذا المعنى قيل الايمان بين الشك واليقين لان اليقين هو الذي يحصل بالبديهة او الوجدان او الحس أو البرهان وأما الشك فهو الظن الذي لم يترجح فيه التصديق على التكذيب وليس الايمان بالامور الالهية من هذين القبيلين لأن التصديق قول من ثبت صدقه على نحو قوة التصديق بلسان اليقين . فهكذا قال بولس الرسول (والايمان هو الايقان بالأمور المرجوة كأنها قد تمت بالفعل واستبانت ما لا يرى) وقد قال عن موسى (وبالايمان صبر (تشدد) كأنه كان يعاين الذي لا يرى). وقال (الرجاء لما ليس برجاء لانا ان كنا نراه فكيف نرجوه ونتوقعه) . وثمرة هذا الفصل ان نعلم انه يجب ان لا يتزعزع ايماننا لعدم البرهان عليه او لمضادة البرهان له فهكذا قال الرسول (لم ابشركم بحكمة الكلام لئلا يتعطل صليب المسيح) . واعلم ان مقدمات البرهان مع ظهورها وقوتها قد

أوردت علينا شبه كثيرة في الكتب الفلسفية والكلامية فكيف مقدمات باقي الأدلة مع خفائها وضعفها . فيجب أن لا نضطرب اذا أُوردت علينا الشبه في العلوم الالهية بل نثبت حتى نحلها . ومما يؤكد هذا الاصل قول افلاطون ان معاني العلم الالهي الحاصلة في اذهاننا لدقتها لانجد لها الفاظاً تطابقها فلا يقدر ان يوصلها الذهن لمتعلم بالفاظ مطابقة لها ولن تقدر ان نفهّمه اياها بالطريق التي فهمنا بها وهو بان نجمع في ذهنه من المعاني بالفاظ المطابقة لها واذا اجتمع ذلك في ذهنه نتج له منه المعنى المقصود . وسبب هذا ان المادة والآلة القولية أكشف من القائل المعاني الذهنية فقد يمتنع على هذه ما لا يمتنع على تلك ولهذا قد يمتنع على الانسان ان يعبر عما في ذهنه . ولهذا قال الرسول لما صعد الى السماء الثالثة انه سمع ما لم يمكنه النطق به ومما يؤكد المعنى المقصود قول باسيليوس (كما انا نستعمل بصرنا فيما يمكنه دون ما لا يمكنه من باقي المبصرات ولا يجب ان نستعمله فيما لا يمكنه ادراكه لعجزه عما لا يمكنه كذلك يجب ان نستعمل عقلنا في ما يمكنه تعقله دون ما لا يمكنه من باقي المعقولات ولا يجب أن نستعمله في ما لا يمكنه فهمه لعجزه عما لا يمكنه) ومما يؤكد أيضاً مقصود هذا الاصل قول فرفورس واخطر ببالك ان جميع الآراء يتشكك في كثير منها لانه قد يكون فيها ما لا يدرك أو يدرك بصعوبة لغموضه . قال الشارح قال ارسطو ليس احد منا يدرك الحق بحسب ما يستحقه الحق

والعلة في ذلك لخفائه في نفسه وضعفنا عن ادراكه لملابسة الهيولي ولان الامور التي نأخذ منها مبادي العلم هيولانية فمن جهتها ومن جهة الامور أيضاً يبقى في الاشياء شيء خفي لا ندركه الا ان ذلك لا يمنعنا من اعتقادنا به ولو لم ندركه والا فلن نعتقد شيئاً البتة

(الاصل التاسع)

طرق الاستدلال على الهية المسيح واتحاد لاهوته بناسوته ثلاث الاولى شهادة الانبياء والمتقدمين على زمان ظهوره الثابتة كتبهم التي بأيدي اليهود أيضاً بان الاله سيظهر بين الناس ويكون منه ما قد شهد الانجيل الثابت صدقه انه قد كان منه . واليهود وان خالفوا في أن هذا هو المسيح الذي تنبأت الانبياء على مجيئه فهذا الخصم لا يخالف في أن هذا هو المسيح وقد وجد من كتب الانبياء النبوات على ظهور المسيح وما يكون منه في ظهوره الاول ومجيئه الثاني للمداينة والثانية شهادة أقواله وأعماله بالهيته في خلال ظهوره لانه وصف نفسه بالالهية وقبل وصفه بها من غيره وعمل ما لا في قدرة المخلوقين ان يعملوه واقدر تلاميذه على مثل اعماله فاما الانبياء والرسل فلا يصفون ذواتهم الا بالامور الذليلة فقط ولما ظن بعضهم أنهم آلهة شقوا ثيابهم وانكروا ذلك غاية الانكار وكل ما عملوه من الآيات نسبوه الى الاله . والثالثة شهادة رسله بالهيته بعد ظهوره بالجسد وعملهم الآيات باسمه وأخذهم الامم

بالايمان بالهيته كما هم عليه الآن والطريق العقلية التى ثبتت عند العقلاء وجود الذات الالهية ووجود صفاتها لها ووجود النفس الناطقة أيضاً في الانسان متحدة بحيوانية ووجود القوى الطبيعية والحيوانية في النبات والحيوان على الطريق العقلية التي ثبت بها عند المؤمنين وجود لاهوت المسيح متحداً بناسوته وهي أن كل فاعل غير مدرك بالحواس فانه انما يعلم وجوده من وجود آثاره فلما وجدوا انساناً يجتذب الغذاء ويرفع فضلته قالوا فيه قوة جاذبة وقوة دافعة ولما وجدوا الحيوان يتميز عن النبات بادراك المحسوسات قالوا فيه قوى حساسة لا على انهم ادركوا شيئاً من هذه القوى بالحواس وكذلك لما وجدوا الانسان يتميز عن باقي الحيوان بالنطق الصادر عن الفكر المتولد عن العقل قالوا له عقل هو به مفكر ناطق وكذلك لما وجدوا العالم مصنوعاً ورأوا بعضه مركباً كالافلاك والكواكب وبعضه حادثاً كاشخاص الحيوان والنبات قالوا لا بد له من مركب ومحدث منذ الابتداء ولما وجدوا مصنوعاته محكمة قالوا أنه حكيم قادر فاستدلوا بوجود الآثار على وجود المؤثر وبصفاتها على صفاته لا على أنهم ادركوا بالحواس وجود المؤثر ولا صفاته وهكذا لما وجدنا الاقوال والافعال الخاصة بالاله صادرة عن الظاهر بالمسيح للحواس اعني ناسوته قلنا ان اللاهوت متحد به على نحو ما قلنا ان نفس الانسان متحدة ببدنه وذلك من جهة صدور آثارها الخاصة بها عنه . وطريق اخرى نظرية وهي اليقين

الحاصل من الرياضة وتصفية الباطن . وقد شهدت الآباء الذين وصلوا في هذه الطريق الى اقصائها بصحة المسيحية وحدها ودليل ذلك بلوغهم بها الاتصال بالله حتى ظهرت منهم اثاره وثبوتهم فيها وتمسكهم بها حتى بذلوا ذواتهم دون مفارقتها وفي طاعتها .

(الاصل العاشر)

في اثبات صدق الانجيل الثابت بايدينا لاشك انه قد قبل من امم متبائنة البلدان مختلفة اللسان لايحصيهم عدد ولا يجمعهم انسان وقد كانوا متبائني الاراء والاديان كالافرنج والحبش والارمن واليونان وبالجملة من كل صنف من اصناف الناس الملوك منهم والرؤساء والعوام والحكماء مع منافرة ظاهرة للعقول لانهم دعيوا الى الايمان بان الاله صار انساناً فولد وصلب وقبر وقام مع منافرة باطنة للطباع لانه يرغّب في الصوم والاتضاع والفقر ويحث على الرفض بشهوات العالم ومقتنياته ومفاخره حتى على رفض النفس وهلاك الذات واحتمال القتل مع ان هذه كلها مضادة لما كانوا قد الفوه واعتقدوه واخذوه عن ابائهم وتقلدوه عن عظمائهم من الاعتقادات والاخلاق والاعمال فان الاتضاع والخضوع ينافران الملوك والرؤساء لاسيما الذين بلغوا من التعظيم الى ان ادعوا الالهية ثم بلغوا من الاتضاع الى ان خضعوا لانسان مسكين لاجل انه كاهن الاله الذي يدعو للايمان به كالخضوع للاله . وتمسكوا

بالزوجة الواحدة بعد الالف من النساء مع القدرة الملكية والبدنية واما العوام فان المتع من الشهوات البدنية تنافرتهم لاسيما بعد اعتبارها وكذلك الجذب الى الاخلاق الفاضلة وبلغوا من العفة والصوم والزهد والتعبد الى الرهبنة التي هي التشبه في الارض بملائكة السماء في الامور الروحانية حسب المكنة البشرية . وأما الحكماء فان اعتقاد الرأي المباين للحكمة النظرية والاقرار به منافران لهم وبلغوا الى ان وضعوا الكتب في صحة ما صاروا اليه واحتملوا سفك الدم دون جحوده . واذا كان الانجيل الثابت بايدينا قد قبل هذا القبول من امم لا يصح توهم تواطئهم على رأي لامتناع اجتماعهم لاسيما على ما فيه من المشقة على النفس والجسم وكان كل مقبول لا يخلو ان يكون مقبولاً اما بالاسباب التي يقبل منها الباطل او بالاسباب التي يقبل منها الحق أما بعضها او كلها وكانت الاسباب التي منها يقبل الباطل اما قهر السيف أو ايثار العز والمال والراحة والشهوات العالمية والبقاء مع الاهل والعشيرة وحسن الرأي في الظاهر او أفضل حيل الداعين وجهل المدعوين او التعصب لرأي الآباء وللوعد بالمطلوبات في هذه الحياة وكان الانجيل يدعو الى اضداد هذه كلها لانه يتضمن القول للمرسلين لاخذ الامم بالايمان به الا يحملوا عصاً ولا فضة ويخبر أنهم أرسلوا اثنين اثنين وانهم كانوا صيادين واميين وعبرانيين ويرغب في المسكنة بالروح والفقر من المال والتعب الكثير واحتمال التعيير

والطرد والقتل ويمنع من الشهوات البدنية حتى الفكر فيها والميل اليها ويشترط في الاستحقاق للايمان مفارقة الولد والوالد والاخ والزوجة والصديق اذا كانوا مانعين من الدخول فيه ويدعو الى رأي جديد شنع الظاهر ويعد بالضيق بسببه في هذا العالم .فظاهر انه لم يقبل بشيء من أسباب الباطل فبقي ان يكون قد قبل بالاسباب التي يقبل بها الحق أما كلها أو بعضها وهذه منها ان يكون ما يخبر به مما ندركه بحواسنا او نجده في نفوسنا او يكون من المعقولات البديهية او مما توجبه البراهين النظرية . ومنها ما يكون التصديق به انما هو بالآيات الالهية التي تقهر العقول البشرية على تصديق الواسطة فيها ليقبل عنه الحق الذي لا يشوبه كذب ويحصل بطاعته النفع الذي لا يخالطه ضرر واذا كان ما تضمنه الانجيل من الايمان ليس هو من قبل الاقسام الاربعة الاولى فبقى ان يكون قبوله بالآيات فقط لاسيما وهو يتضمن اقرار المرسلين بها كاخراج الشياطين وشفاء المرضى واقامة الاموات فلا بد ان يكونوا قد طولبوا بما ادعوه من ذلك قبل التصديق واذ قد شهد العالم بصدقهم فلا بد انهم عملوا الآيات الباهرة مع ان الانجيل وما في كتبهم الثابتة بايدي من ثبت بيده الانجيل قد تضمنت انهم عملوا من الآيات ما لم نسمع بمثله قط فقد لزم من مجموع ما قلناه ان يكون قبول الامم له اما المشاهدون للدعاة اليه فبمشاهدة الآيات واما غيرهم فباشتهار ذلك في من لا يجوز على

مثلهم التواطؤ لا سيما على مثل الانجيل ولعمري ان قبول كل امة له على ما فيه من المشقات المشروحة متقدماً لمن اعجب الآيات حتى لو لم تكن فان تصديق كل أمة للداعين اليه وقبولهم اياه منهم مع منافرته للعقل والطبع فيه الكفاية . فقد اتضح الحق وافتضح الباطل ووجب على العاقل والجاهل والمجتهد والمقلد ان يجعل هذه الآية امر معياراً لما يجب ان يقبل او يهمل من الاديان وثمرة هذا الاصل عظيمة النفع جداً وهي التصديق والقبول لجميع ما في الانجيل الثابت بايدي جميع الامم المسيحية . وفي هذا اثبات جملة النصرانية . فاما دعوى تغييره فنقول اما ان يكون تغييره من جميع الداعين الى قبوله او من جميع القابلين له والاول ظاهر الامتناع لان الله لا يؤيد بآياته المضلين وقد ثبت انه لم يقبل بغير الآيات الالهية ولان تغيير ما ثبت فيه من الرأي الشنع الظاهر والتكليف الشاق الى ما يدّعى انه غيّر منه من الاراء الحسنة الظاهرة والترخيص في التكليف اولى كثيراً من العكس . والثاني اشد امتناعاً لامتناع اجماع جميع قابليه وتواطئهم على تغيير ما ثبت من الانجيل المنتشر بكل ألسنة الامم واذا فرضنا المستحيل وقدّرنا هذا الاجماع فهل لم يوجد في الكل عشرة يتقون الله ويستحيون من الناس فلا يواطئون على تغيير كتاب شريعتهم وليت شعري ما الذي قصدوه بتغييره وتسبيب الهلاك والعار لنفوسهم ولابنائهم في الدنيا والاخرة من غير جذب نفع او دفع ضرر . فنسأل الله

تعالى العفو وكيف يمكنهم ان يدّعوا تغييره مع قولهم انه كلام الله وقول القرآن ان لا مبدل لكلمات الله . واعلم ايها المؤمن ان المقصود بالنظر والاستدلال ليس اثبات الحق عند الخصوم فقط فان هذا في الاكثر ممتنع لما في اظهار الانفعال في الراى والتشبث بدين الآباء وتقليد المعظمين وما في ذلك من المشقة العظمى لا سيما من اصحاب الدولة والسيف زد على ذلك ما يعترض الحق من الشبه. بل القصد الاكبر بالنظر ان يثبت الانسان الحق عند نفسه وعند المؤمنين قدر امكانه ولهذا اوردنا ايضاً في هذه الاجابة استشهادات من كتبنا . ثم اعلم اننا لا نستطيع ان نقف على كل مقاصد الحكيم في تدبيره باقواله وافعاله لكن بعد ان ثبت عندنا ان شيئاً صدر من الحكيم فان تميز لنا الغرض به ووجه الحكمة فيه فكان ذلك حسناً والا علمنا بالجملة انه حق وخير لصدوره عن الصادق الحكيم تعالى

(الفصل الثالث في ثمرات الاصول المذكورة)

ثمرة الاصل الاول . ولان الرب على ما شهد به الانجيل الثابت صدقه امر تلاميذه ان يمضوا الى الامم ويأخذوا اقرارهم باسم الاب والابن والروح القدس بقهر الآيات فمضوا وفعلوا ذلك على ما شهد به الوجود سمّى الاباء والعلماء هذه الموصوفات الثلاثة المخصوصة اقانيم لان الاقنوم هو مجمع الذات مع الصفة الثبوتية المميزة لله لا لأنه لا

وصف للباري غير هذه الثلاثة لكن لتميّز الشرع لها بالذكر في اخذ الامم بالايمان بها . وقد تبين في الصفات الكبار انها صفات ذاتية لا فعلية وان النظر الفلسفي قد بيّن ان الاوصاف الالهية الخاصة به تعالى لا اكثر ولا اقل وان الصفات الفعلية ايضاً وان تكثرت فهي داخلة تحت ثلاثة لا ازيد ولا انقص . وقد قال بعض علماء المسلمين المتقدمين بالصفات الذاتية للباري وانها اكثر من هذا العدد ولا شك انهم اذا كانوا يعنون بالتثليث تثليث الموصوفات وهو ان الذات واحدة وصفاتها كثيرة فلا خلف بينهم في المعنى وبين من يقول بثبوت الصفات لذات الاله . هكذا قال ابن الخطيب في كتاب نهاية العقول وهو مصنف فى الفلسفة اصول دينهم وفروعه وكما لا انكار على من وصف زيداً مثلا انه العاقل والمفكر والناطق وكذلك لا انكار على من وصف الاله تعالى فقال انه الموجود والحكيم والقادر هكذا لا انكار على من وصفه تعالى فقال هو الاب والابن والروح القدس اذا كان انما يعني انها ذات واحدة لها ثلاث صفات ذاتية نعم يبقى الخلف لفظياً ونحن انما وصفناه بهذا اللفظ لانه وصف به نفسه على ما شهد به انجيله الثابت صدقه واما مانعنيه به من المعنى فانما اخذناه خلفاً من سلف الى الصدر الاول اعني الرسل ويشهد بذلك وجود هذا الراي لفظاً ومعنى في اقطار العالم واصناف الناس وثبوته في صفات القديسين والعلماء المعاصرين بعدهم مثل ديونوسيوس وغريغوريوس . ومن استشنع ظاهر هذا

اللفظ فاولى به الا يدعي تغييره عن اصله اذ التغيير انما يكون اما لتحصيل منفعة او لرفع مضرة وكلاهما معدومان من هذا التغيير لو كان

ثمرة الاصل الثاني اذ قد تبين صحة اتصاف المركب بجزئه وباوصاف جزئه من مقتضى العقل واطلاق اللغة وكان الاقنوم مركباً من الذات الالهية واحدى صفاتها الخاصة فقد صح وصف كل اقنوم من الاقانيم الثلاثة على نحو اتصاف الاخر بانه الاله وبجميع اوصاف الذات الالهيه من حيث انه جزء الذات الالهية لانها مشتركة بين الاقانيم الثلاثة فالروح القدس اله حي قادر على نحو ما للابن كذلك على نحو ما للاب كذلك صح ايضاً وصف كل اقنوم بمفرده بالاوصاف التي هي له من جهة الصفة الخاصة به المميزة له لانها جزؤه فالاب والد غير مولود والابن مولود غير والد والروح له معنى الروحية لا الايلاد ولا متولد وصح وصف كل اقنوم بمفرده بالوصف المختص باقنوميته اعني الذي هو له من حيث جملته فالابن متأنس دون الاب والروح وهذا هو المسيح له المجد ولان المسيح حقيقة متقدمة من اله وانسان صح وصفه بانه اله وبانه انسان وبانه اله متأنس وباوصاف الاله المتانس وباوصاف الاله وباوصاف الانسان وقد وصف في الشريعة بكل هذه الاوصاف فوصفناه بذلك اما في مبدأ التشريع فكما ورد في النبوة الداودية على المسيح في رسالة بولس للعبرانيين هكذا (وفي الابن قال كرسيك يا الله الى الابد

قضيب الاستقامة قضيب ملكك احببت البر وابغضت الاثم لذلك مسحك الله الهك افضل من شركائك) فوصفه اولاً بانه اله واخيراً بانه انسان ولا شك ان هذه النبوة قيلت عن المسيح لأن بولس بيّن هذا بقوله (في الابن) وقد كان من علماء الشريعة العتيقة وكتب هذا للعبرانيين فلو كان في ذلك خلاف منهم لما استدل به عندهم او كانوا ينكرون الاستدلال به ويردونه وقد ورد مثل هذا في الانجيل وهو قول المسيح لليهود (فاذا كان داود يدعو المسيح ربه فكيف هو ابنه) فصمتوا وكفوا مسائلته . واما في التشريع اعني الشريعة المسيحية فقال المسيح في الانجيل الثابت صدقه انه ابن الله وابن البشر وانه اله قديم وانه انسان محدث وعمل اعمال الاله واعمال الانسان وقال ان لم تصدقوا اقوالي فصدقوا اعمالي واما تصريحه بانه ابن الله فكما قال للاعمى من مولده الذى خلق له عينين من طين . (وانت تؤمن بابن الله فقال ومن هو يا سيدي لاؤمن به اجابه قائلا هو الذي يكلمك فسجد له وآمن به) . وأيضاً قال له رئيس الكهنة (أأنت هو ابن المبارك فقال انا هو وسترون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وجائياً على سحاب السماء) فمزق ثيابه وقال قد جدّف ظاهراً وحكموا بموته . واما تصريحه بانه ابن البشر فكثير واما انه الاله القادر القديم العالم فكقوله (انا والآب واحد) يعني في الالهية وقوله (كل ما للآب فهو لي) يعني من اوصاف اللاهوتية وقوله (انتم تدعوننى ربكم

وحسناً تقولون لاني كذلك وانا قبل ابرهيم أ ، متقدمه وحيث ما اجتمع اثنان منكم باسمي فأنا اكون في وسطهما اي بعلمه واما انه انسان فقوله انسان كلمكم بالحق وقوله إلهي والهكم وقوله ينبغي لابن الانسان ان يؤلم. ولا تقشعر أيها المؤمن من هذا الذي به كان كمال الجود الالهي علينا واعتبر بقول القديس العالم فم الذهب : واذ رضى تعالى جوداً منه ان يصير انساناً فقد رضي بكل ما يلحق الانسانية : وقد ورد في جواب رد الناشيء علينا اكثر الاعمال والاقوال الدالة على الهيته وبذلك ايضاً شهد ملاك الله فقال في بشارة زكريا بيوحنا (ويمتلىء من الروح القدس وهو في بطن امه ويعيد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب إلههم وهو يتقدم أمامه بالروح) وقال في بشارته لمريم بيسوع المسيح (هاهوذا تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمه يسوع وهذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه) فقد شهد له انه إله وانه ابن العلي وانه ابن مريم ومن نسل داود . وتدلك ايضاً شهادة ام يوحنا لما امتلأت من الروح القدس قائلة لام المسيح (من اين لي هذا ان تأتي ام ربي اليّ لانه منذ وقع صوت سلامك في اذني تحرك الجنين بتهليل في بطني فطوبى للتي آمنت ان يتم لها ما قيل من قبل الرب) ثم يوحنا المعمد لما قيل له انت هو المسيح انكر واشار اليه قائلاً (هذا الذي قلت لكم انه يأتي بعدي وكان قبلي لانه اقدم مني) يعني انه قبله بلاهوته وبعده بناسوته لانه ولد من مريم بعد ان

ولد يوحنا . ثم ان رسله ايضاً والمعلمين الاولين تبعوه في وصف ذاته بالالهية واوصافها والانسانية وأوصافها . فبولس قال انه اله على الكل وانه الله المبارك الى الابد . ثم انه قال ولد من زرع داود ومات . ووصفه في رسالته الى افسس والى العبرانيين بأنه إله وانه خالق [illegible] ميلاداً أزلياً وميلاداً زمنياً . ولما وصفه بالميلاد الزمني وبالالم بيّن انه يصفه بهذين من جهة ناسوته فقال ولد وتألم بالجسد وكذلك بطرس قال (مات بالجسد وعاش حياً بالروح) والرسل تبعوا بهذا المسيح لانه وصف ذاته أعني جملته بالاوصاف الانسانية ثم بيّن ذلك بجسده اذ قال. انه يبذل ذاته فداء عنا وقال هذا جسدي الذي يبذل عنكم . فكل الاوصاف الالهية والانسانية الواردة في الشريعة لاحقة المسيح أعني جملته المتقومة من اللاهوت والناسوت لا الاول بمفرده ولا الثاني بمفرده الا أن الالهية للاهوت بالذات والمسيح من جهة وجود اللاهوت فيه والانسانية للناسوت بالذات والمسيح من جهة وجود الناسوت فيه فتفهم هذا واحفظه وحافظ عليه فهو أصل عظيم الفائدة وباقي الاصول قد وردت ثمراتها في أواخرها وسترد منافع هذه الاصول وثمراتها مثبتة للاجوبة في مكانها وثمراتها جواب اكثر هذا الرد على سبيل الاجمال . وقد آن الشروع في الجواب على سبيل التعقل فنسأل العون من فاتح الاعين الطمس ومطلق الالسن الخرس القائل عند المعرفة بالعجز (لا تهتموا بما تقولون فان روح أبيكم يتكلم فيكم واني معطيكم فهماً

وحكمة لا يقدر الذين يناصبونكم على مقاومتها ولا الجواب عليها)

(الفصل الرابع في جواب المقدمة)

أما ما ابتدأ به من حمد الله تعالى وما وصفه به وما نفاه عنه وسأله منه الى قوله والعباد . فنحن موافقون عليه . قوله ان معرفة الافضل بالاختبار فقول قد تقدم في الاصل العاشر بمعيار الاختبار لما يجب أن يقبل ويهمل . قوله ان الاختبار بالعقل نقول ان لفظة العقل تقال على العقل بالقوة والعقل بالفعل والاول هو الطبيعي الذي يشترك فيه اشخاص نوع الانسان والثاني اكتسابي وهو الذي يختص به العلماء وبه نعرف ان لنا صانعاً لا بالاول . قوله انه ترك دينه الاول بعد سبعين سنة من عمره . نقول قد شهد الوجود والكتب الطبية ان القوى الطبيعية والحيوانية والنفسانية التي تكون لها التغذية والحركة الارادية وادراك المحسوسات والمعقولات تكون في الانسان ناقصة عن تمام أفعالها في طرفي عمره أعني في حال صغره وهرمه وهذا الضعف لضعف آلاتها وكما تضعف آلات ادراك المبصرات والمسموعات في الهرم تضعف آلات البصر والسمع فيه كذلك يضعف ادراك المعقولات لضعف آلات التخيل والتفكر والتذكر فيه . وقد صنف جالينوس مقالة في أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن ومزاج الهرم قد استولت عليه الرطوبات ولهذا ضعف فيه الحفظ وقوى عليه النسيان . ثم نقول

ان اكثر النـاس يموتون ولم يكونوا ادركوا من علوم دينهم ال
ما يأخذونه تلقيناً وتقليداً . ولما تأملنا كلام هذا الرجل وجدنا
لم يكن أدرك من دينه ولا التقليد بكماله . اذ كان اكثر ما يورد
بعضه بغير عبارة النصارى واكثره بخلاف ما يعتقدونه ويدل ع
هـذا أول كلمة أوردها من الانجيل وأشهر أقوال الانجيل افظ
ومعنى عند جمهور النصارى أعني قوله كما قال لتلاميذه . لا تخاف
قتلة الابدان بل اتقوا قتلة الانفس يعني الكذبة المضلين . والنص
الصحيح على ما ورد في بشارتي متى ولوقا . (أقول لكم يا أحبا
لا تخافوا ممن يقتل أجسادكم ولا يستطيع أن يقتل نفوسكم
أعلمكم ممن تخافون خافوا ممن يقـدر أن يهلك النفس والج
جميعاً في جهنم نعم أقول لكم من هـذا خافوا) يعني الله تعا
لا الكذبة المضلين كما قال . قوله وليس قصدي في ما أثبته في كتا
هذا رداً على المسيح ولا على أهله . نقول حقاً انه لم يرد على المس
ولا على أهل حقه في اكثر كتابه كما تقدم القول انه انما أورد
توهم انه اعتقادهم ورأيهم وهو لا اعتقادهم ولا رأيهم. قوله بل على
خالف الانجيلات وصرف الكلمات . قلنا قد ثبت على ما تض
الاصل العاشر امتناع تغيّر الانجيل وقد شهد كتابه بصدقه بع
انتشاره في أقاليم العالم بين أيدي أصناف الناس بستمائة سنة و
فما خالفنا هذا الانجيل الذي لم يغيّر فاذاً انما رد على نفسه و
أمثاله لا علينا . قوله ومن تصفح كتابي هذا الى قوله وصحة ال

نقول ومن تأمل جوابنا هـذا من الفريقين كان حكمه بخلاف
ما ذكره ان كان عارفاً طالباً للحق من أي فريق كان فانه سيسر
وينتفع به عاجلاً ويسعد آجلاً . أما ما وعد به من أنه يورد من
المسائل والشرح والتأويل فسيرد جواب ذلك بعون القادر الحكيم .
قوله ذكر سبعة وجوه من التناقض نقول قد ذكرنا في الاصـل
السابع شروط التناقض على ماثبت في كتب الحكماء من المتفلسفين
المتشرعين ونفند بها ما يذكره . قوله الذي آخره وكل له ماقلت.
لسنا نخالفه في شيء منه اذا حمل لفظـه على ظاهره أما الكلمة
الواردة بعد ذلك فنقول نحن القبط في جوابها كما قال ملوك النصارى
اذ قيل لهم انه قد ظهر في العرب انسان قال انه رسول الله وان له
كتاباً ذكر انه منزل عليه من عند الله قالوا فاستحضرنا هـذا
الكتاب فوجدنا فيه ما يدل على انه ادعى انه لم يرسل الينا وانما
ارسل الى العرب الحجازيين فقط فمن ذلك قوله وانزلنـا القرآن
عربياً وهو عربي كما قال وقوله وما أرسلنـا من رسول الا بلسان
قومه . ولا تقتضي الحكمة ما لا يخالف هذا وهكذا عمل المسيح اذ
اطلق رسله أولاً بلغات العـالم الذين ارسلهم اليهم . وقوله أوحينا
اليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها . وقوله انذر عشيرتك
الاقربين . وقوله هو الذي بعث في الاميـين رسولاً منهم يتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من
قبل لفي ضلال مبين . وقوله لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من

قبلك لعلهم يهتدون . وقوله لتنذر قوماً ما أنذرناهم فهم غافلون .
فعلمنا من هذه الاقوال وأمثالها ان قوله ومن يتبع غير الاسلام ديناً
وانه أرسل الى ذوي الاصم الاسود وأمثال ذلك موجهة نحو العرب
الحجازيين لا نحونا وانه لم يدّع الرسالة الينا لانا لسنا من قومه
وليس لسانا عربياً ولا نحن من اهل ام القرى ولا من حولها ولا
من عشيرته الاقربين ولا كنا من قبل في ضلال مبين ولا بغير
كتاب . لانه قد شهد لنا بإنا اهل كتاب ولا بعث فينا لانا غير
أميين ولا هو منا لانه عربي حجازي ولسنا كذلك ولا تلا علينا
آياته لانه لم يصل الينا . وقد انذرنا تعالى بالنذراء الكثيرين
المتقدمين على وجوده . قال الملوك النصارى . ومع هذا وجدناه
ايضاً يعظّم المسيح وامه ويذكر انه روح الله وكلمته وانه عمل
الاعمال الالهية ويصفه مع هذا بأنه انسان بالاوصاف الانسانية
وهذا هو اعتقادنا فيه ان له الالهية والانسانية معاً . فمن ذلك قوله
عن مريم امه والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابنها آية العالمين . وقوله يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين . واخبر به انه حبل به لا من مجامعة رجل بل
ببشارة ملاك الله لامه وانه تكلم في المهد واحيا الميت وابر
الاكمه ونقى الابرص وخلق من الطين طيوراً . فزادتنا هذه
الاقوال تمسكا بما بأيدينا . واما قوله. ان مثله عند الله كمثل آدم
وما صلبوه ولا قتلوه. فنحن كذلك نقول انه من ولد آدم بناسو

وما صلبوه ولا قتلوه بلاهوته . قالوا ووجدناه رفعنا على الكافرين
بقوله لعيسى (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم
القيامة) وقوله . واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة
ورحمة . ووجدناه يعظم صوامعنا وبيعنا ورسلنا بقوله . ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد
يذكر اسم الله فيها كثيراً . فلو كان قصد بقاء المساجد فقط لم يقدم
عليها الصوامع والبيع بالذكر في عناية الله تعالى . وقوله . وارسلنا
رسلنا بالبينات معهم الكتاب. فعنى رسله بالبينات الحواريين وعنى
بالكتاب الانجيل لانه لم تأت رسل كثيرة بكتاب واحد غير
المذكورين وهم اصحاب الآيات البينات . ووجدناه يخبر بصدق
كتبنا وان الحق اليقين هو عندنا بقوله انزلنا الكتاب اليك
مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل . وقوله . وان كنت في
شك فسل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك . وقوله . وان كذبوك
فقد كذبوا رسلاً من قبلك جاؤا بالبينات والزبور والكتاب
المنير . وقوله . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . فقد صدّق
الانجيل ونفى عنه تهمة التبديل الى ذلك الحين وقد كان حينئذ
منتشراً في اقطار العالم وبأيدي سائر اصناف الناس فيمتنع تغييره
بعد ذلك . ووجدناه مأموراً بالايمان بكتبنا بقوله . قل امنت بما
انزل الله من كتاب . وقال ايضاً . وقولوا آمنا بما انزل الينا وما
انزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون . فأمر الذين

الانسانية وقد بيّنت صحة وصفه بالاوصاف الانسانية والالهية

قوله . ان انساناً قال للمسيح ايها الخيّر وبقيته فقال المسيح لم تدعوني خيّراً وليس الخيّر الا الله وحده . فنقول لان هذا السائل كان من العبرانيين وعنده من قول داود النبي ليس خيّراً الا الله وحده فقال له اذا كنت أنا عندك ليس الله ونبيك يقول ليس خيّراً الا الله فلماذا تدعوني خيّراً فلو كان اعتقد به كما يجب لما استخبر هذا الاستخبار لانه قد ادعى الالهية بقوله وعمله ودعا الى الايمان بالهيته ومدح الذين اعترفوا له بها حسب شهادة الانجيل الثابت صدقه ولولا ان تأويلنا هذا كان مقصوده حتى يكون انساناً خيّراً فقط كباقي الانبياء لما وجب عليه انكاره على من قال له أيها الخيّر . فالتأويل يعرف بالقرائن اللفظية والمعنوية لاسيما ونحن انما نأخذ التأويل من المؤيدين خلفاً عن سلف الى الصدر الاول .

قوله ان قول المسيح أن الاله الحق واحد وانه أرسله مخالف لما في شريعة النصارى وايمانهم . نقول ليس مخالفاً لانه في الانجيل والانجيل هو شريعتهم وقد بيّنا في الأصل الرابع معنى قوله انه مرسل من الله وهو انه ظهر للناس في العالم متأنساً بعد ان لم يكن لهم ظاهراً فيه وخاطبهم بناسوته عن لاهوته وهم لا يدركونه بلاهوته وهذه حال الرسل أعني مخاطبة الحاضر للحاضرين عن الغائب عنهم ولكونه خاطبهم بناسوته عن لاهوته قال . ومن أرسلني هو معي . وما هذه حال غيره من المرسلين أعني وجود المرسل مع

رسوله . قوله ان قالوا ان المسيح وان اعترف بأنه مرسل فقد اعترف في غير موضع بأنه الازلي الخالق فقد شنعوا على المسيح ونسبوه الى التناقض . نقول ان المسيح قد اعترف بالأمرين أعني بإنه إله وبإنه انسان واتصف بأوصافهما ولا يلزمه في ذلك تناقض لانه يتصف بذلك من جهتين احداهما غير الاخرى وقد بيّنا في الاصل السابع أن من شروط التناقض توحد الجهة . فليس بمتناقض قول من قال ان زيداً مفكر ويعني بنفسه وطويل ويعني بجسمه وانه غير مفكر بجسمه وغير طويل بنفسه . لانه وصف زيد بذلك من جهتين متغايرتين ووصف الحيوان الناطق بأوصاف حيوانية وناطقية لوجودها في حقيقته المتقومة منها كوصف الاله المتأنس بأوصاف لاهوته وناسوته لوجودهما في حقيقته المتقومة منهما . وباقي المسألة مثل ما تقدم

حل المسألة الثانية قوله . ما وصف به المسيح نفسه هل هو حق كله وتتمة المسألة . نقول هو حق كله وقد مر جواب هذه المسألة بكمالها في ثمرة الاصل الثاني وآخر الاصل الخامس وكذلك جواب المسألة الثالثة والرابعة والخامسة وهو إن المسيح يوصف بالاوصاف الالهية والانسانية على ما تقدم بيانه . وقوله في آخر الرابعة انا نؤمن باله آخر هو غير خالق الاشياء قلنا ليس كذلك بل نؤمن ان المسيح هو خالق الاشياء بلاهوته ولا لاهوت غير لاهوته . وتسميته الامانة الجامعة بالشريعة يدل على أنه ما كان يعرف

أوضاع شريعتنا ونحن نقول ان هـذه الامانة هي حق جميعها . وقوله في الخامسة . ان قالوا ان المسيح إله خالق أزلي فقد خالفوا الانجيل . قلنا كلا فقد شهد أول انجيل يوحنا بإنه إله أزلي خالق الكل . قوله ان في الانجيل قول أشعيا النبي عن الله للمسيح هذا عبدي الذي اصطفيته . نقول ان الذي في الانجيل.هذا فتاي الذي ارتضيته وحبيبي الذي هويته . ومرة أخرى قال الله . هذا ابني الحبيب له فاسمعوا . ولسنا نستغرب لفظة عبدى اذا قيلت عن المسيح لانه بناسوته مولود من الطبيعة البشرية الموصوفة بالعبودية لله . ولهذا قال بولس انه أخذ شكل العبـد الا إنه مع هذا هو الابن الحبيب كما شهد الانجيل وهو الاله كما شهد له كتاب نبوة أشعيا بقوله عنه . ابن ولد لنا إله قادر . والابن الحبيب لا يكون عبداً حقيقياً لابيه لانه يحرر العبيد كما قال هو عن نفسه في الانجيل ان عتقكم الابن صرتم أحراراً . وكذلك قال بولس رسوله وعتقنا من لعنة الخطية واذا كان قال لتلاميذه . انتم أحبائي ولست أسميكم عبيداً لان العبد لا يعلم ما يصنع سيده وقد أعلمتكم بما سمعته من الأب . فكيف نسميه نحن عبداً وهو والاب واحد وله كل ما للاب كما قال يعني العلم وغيره . قوله والعبد لا يكون الهاً قلنا هو بناسوته الابن المرتضى الحبيب وبلاهوته الاله الابن الوحيد المرتضى الآمر بالطاعة للمأمورين المسموع منه الامر لهم . قوله ان المسيح وهو على الخشبة قال . الهي الهي لم خذلتني . نقول انما

قال . لم تركتني . على ما في المزمور ولا فرق بين خذلتني وتركتني بالنسبة الى داود لانه قال هذا في أول المزمور الحادي والعشرين وانما أورده المسيح وهو مصلوب للاستشهاد على الصلب بما فيه من النبوة عليه وذلك بقوله (ثقبوا يدي ورجلي وزعزعوا جميع عظامي نظروا اليّ وشتموني واقتسموا بينهم ثيابي وعلى لباسي اقترعوا وقالوا توكل على الله فليخلصه) وهذا نص ما جرى على ما شهد به الانجيل فاذكر اليهود وهو مصلوب بالنبوة المتقدمة على ما سيجرى في حال صلبه بذكره أول المزمور الذي فيه النبوة — والذي يدل على انه لم يكن طالباً من غيره ان يخلصه قوله قبل صلبه (اني أضع نفسي لآخذها أيضاً وليس احد يأخذها مني ولكني أنا أضعها بارادتي لان لي سلطاناً ان أضعها ولي سلطاناً ان آخذها ايضاً) وقوله اني لهـذا جئت . وقوله بتكرار (يجب لابن البشر ان يصلب ويموت ويقوم في اليوم الثالث) ولا خلاف في ان داود لم يثقب احد يديه ولا رجليه فهذا القول كان منه نبوة على ما سيكون لغيره لا وصفاً لما حل به . وما بعد هذا تقدم جوابه .

قوله لزمهم ان يجعلوا بعض الاله خالقاً وبعضه مخلوقاً . نقول قد بيّنا في الاصل الخامس ان لفظة الاله وما رادفها من لفظة الرب وغيرها مشتركة بين الجوهر البسيط المجرد وبين المسيح من حيث وجود ذلك الجوهر فيه فان اراد بلفظة الرب المعنى الثاني فنحن ملزمون بما ذكره وان اراد المعنى الاول فليس يلزمنا ذلك لانا

لانصف الجوهر الالهي البسيط المجرد بشيء من الاوصاف الانسانية
وانما نصف بها المسيح لا من حيث لاهوته بل من حيث يوجد
فيه الناسوت القابل بذاته لاوصاف الانسانية لان حقيقته متقومة
من الجوهرين مثل تقوّم حقيقة الانسان من جوهريه الموجودين
فيه أعني نفسه البسيطة وجسده الكثيف . قوله يلزمهم ان بعض
الدنيا خالق جميع الدنيا . قلنا لا يلزم ذلك لان المسيح بعض الدنيا
عما ليس هو به خالقاً . قوله وبعض الشيء لا يكون موجوداً الا
بعد وجود كله . قلنا هذا باطل مطلقاً لان البعض لا يكون الا في
الحقائق المركبة . والتركيب الصناعي يوجد المركب منه بعضه قبل
كله والتركيب الطبيعي لا يوجد المركب منه كله بعد بعضه وانما
توجد جملته دفعة واحدة والمركب الابداعي لا يوجد كله بعد
بعضه والمثال الذي أورده غير مطابق لان جزء الانسان ليس بخالق

جواب السادسة ان الشريعة التي وصفته بالالهية والازلية
وصفته بالانسانية والحدوث قوله . وكيف يجوز أن يكون الزمان
قبل خالق الزمان وتمته . قلنا اتحد خالق الزمان بالمولود في الزمان
وصار منهما واحد فانه يوصف بوصفهما

جواب السابعة قوله . كما للاب الحياة في ذاته كذلك اعطى
الابن أن تكون له الحياة في ذاته . نقول لفظة الابن المقولة على
المسيح تصح تسميته بها من جهة لاهوته ومن جهة ناسوته ولفظة
الاعطاء في الانجيل قد وردت مشتركة بين المفهوم من ظاهرها

وبين غيره . فقد قال الابن في انجيل يوحنا أنه أعطى الناس للاب
بمعنى أنه جعلهم يعرفونه كما بينه هو وقال ان الاب أعطاهم له بمعنى
أن الاب شهد لهم ببنوته له وأمرهم بطاعته فان كان في هذا القول
أراد المفهوم من ظاهرها فانما يصح انه أراد بلفظة الابن الجهة
الناسوتية لا اللاهوتية وان كان أراد غير المفهوم من ظاهرها فانما
أشار الى تحقيق بنوته الالهية لان وجود الابن متوقفاً على وجود
الاب . فوجود هذا الاب والابن وان كان واحداً من جهة ان
ذاتهما واحدة الا ان وجود هذا الابن من حيث هو ابن أي من
حيث أن معناه متولد من معنى أبيه فهو متوقف على وجود الاب
من حيث هو أب لا من حيث جوهرهما الواحد . ومفهوم اللفظ
اذا تأملنا به تأملاً فلسفياً دل على هذا لان قوله كما للاب الحياة
في ذاته معناه كما ان وجود الاب واجب بذاته وقوله. كذلك أعطى
الابن ان تكون له الحياة في ذاته. ان حملت لفظة أعطى على ظاهرها
لم يصح القول لان وجوب الوجود بالذات لا يصح اعطاؤه للغير
ولا أخذه من الغير . اذ الواجب بذاته لا يكون واجباً بغيره فلما
شبه العطاء بما هو له ذاتي قال أعطاه الشيء الذاتي له

أما ما أورده على شهادته لنفسه بقول المكتوب في التوراة
وهو إن شهادة رجلين على الانسان صادقة فلما كان المسيح ليس
هو انساناً محضاً كباقي الناس بل هو إلهاً متأنساً كانت الشهادة له
من الاله والناس أعني الاب والانبياء والرسل ويوحنا وجازت

شهادته لنفسه كما جاز قسمه بذاته وقد تضمنت التوراة شهادة الله لنفسه عند ما قال أنا إله ابرهيم واسحق ويعقوب وعلى لسان اشعيا بقوله . ليس إله غيري . وعند طائفة الخصم شهد الله أنه لا إله الا هو. ولما لم تصح شهادته لنفسه عندهم استشهد عندهم بمن كان معظماً منهم لفضل سيرته ولكونه ابن كاهنهم ثم بأعماله المصدقة لاقواله فقال . أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد لي والاعمال التي أعمل تشهد لي . اما الذي قاله المسيح عن علم ساعة القيامة فهذا نصه . ان تلك الساعة لا يعرفها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الاب وحده . ولهذا تأويلات فمنها انه أراد ان الابن بالنظر الى مجرد ناسوته لا يعرفها وانما يعرفها بلاهوته الذي به هو والاب واحد كما قال . وقد قلنا ان أوصاف ناسوته لاحقة به وان البنوة يصح وصف المسيح بها من جهة ناسوته أيضاً. ومنها انه أراد بالابن جماعة المؤمنين كقوله في التوراة لفرعون ملك مصر على لسان موسى . أرسل ابني بكري يعبدني والا قتلت ابنك بكرك . وأراد بابنه جماعة الاسرائيليين وبابن فرعون جماعة ابكار قومه المصريين لانه قتلهم جميعهم . ومنها انه أراد . ان أحداً لا يعرف الساعة ولا الملائكة ولا الابن الا الاب وحده . لان بعضهم سأل عن معرفة الساعة وبعضهم كان متشوقاً لمعرفة الملائكة وبعضهم آثر ان يعرف الابن . ومنها أنه قصد السياسة في نفي معرفتها عنه لان اظهار وقتها يضر بالناس لا سيما

الذين تكون في زمانهم . فقد اعتقد أهل كل شريعة ان الله لم يظهر معرفتها لما في اخفائها من الحكمة وليست السياسة كذباً لان القول المخالف للضمير ان قصد به الاضرار واستلزم قبحاً وذماً سمي كذباً وشراً وان قصد به النفع واستلزم خيراً ومدحاً سمي سياسة وهذا المسمى عند الحكماء سياسة وتسميه علماء العرب تورية وهو ان يخبروا السائل عن امر بما لا يدل على ما علموه من ذلك الامر وكل العقلاء يجيزون ذلك بشرط ان يدفع بهذه السياسة خطأ أعظم من خطأ الصدق في ذلك الأمر . وهذا مثلما لو ان عدواً لله هرب منه وليّ لله فدخل مغارة وانساناً يراه وبعد دخوله ورد عدوه بسيف مجرد ليقتله فاستخبر ذلك الانسان هل يعلم موضعه فلا شك ان انكاره خير من اخباره . والتجريد أن الصدق والكذب في القول انما بمجرد مطابقته او مخالفته للضمير من دون قصد خارج عن الاخبار فان قصد بالقول قائله خيراً أو شراً لا صدقاً ولا كذباً طابق الضمير او خالفه اذ قد خرج عن التجريد بالتقييد لان المركب من شيئين هو غير كل واحد منهما . وان لم يقصد به خيراً ولا شراً لكن قصد مجرد الاخبار فان طابق الضمير فهو صدق وان خالفه فهو كذب ويسمى القول المطابق بالصدق والمخالف بالكذب مجرداً كان أو مركباً . اما بحسب التجريد فتسميته المركب باسم جزئه الغالب وأما في العرف فتسميته للشيء بغالب حكمه لان الصدق عندهم خير والكذب شر والخير هو

الغالب في القول المطابق والشر هو الغالب في القول غير المطابق ولذلك صار الصدق حسنًا والكذب قبحاً على الاطلاق في المشهور عند الجمهور لا في التحقيق عند الحكماء واذ قد يكون بالعكس وحينئذ تسميه الحكماء سياسة وقد ورد في العتيقة كثير من هذه السياسات مثل قول الله لصموئيل (امض وامسح داود ملكا فقال أخاف أن يقتلني شاول فقال الله له اذا قيل لك لم جئت قل لارفع قرابين) فمضى وقال كذلك ومسح داود ومثل قول الله لموسى (قل لفرعون ان يرسل شعبي يعبدونني في البرية واذا خرجتم استعيروا حلى المصريين) ولم يكن القصد تعبدهم في البرية ولا العارية . وقد أوضح الابن في الانجيل انه يعلم ساعة القيامة بأمور كثيرة منها قال أنه هو الذي يفعلها وهذا بقوله (ستأتي ساعة يسمع فيها الاموات صوت ابن الله فيقومون) وبقوله أنه يرسل ملائكته فتجمع الناس ومنها ما أعطاه من العلامات عند كونها من اضطراب قوات السماوات وغير ذلك ومنها قوله أنه يأتي فيها في مجده ديانًا ومنها ما أخبر به بعد كونها من أوصاف تنعيمه للاخيار وتعذيبه للاشرار ومنها قوله انا والآب واحد وقوله كلما للاب فهو لي واذا كان للآب علم الساعة فذلك أيضاً للابن وقوله ليس أحد يعرف الآب الا الابن . واذا كان يعرف الآب فكيف لا يعرف ما يعرفه الآب فقد زال الشك في علم الابن بالساعة ووجب تأويل انكار معرفته بها كما تقدم .

أما قوله لم آت لأُخدَم بل لأَخدم فهذا القول يشعر بأن له جهة هو بها مخدوم وجهة هو بها خادم ولهذه اتى الآن لا لتلك وقد ذكر انه سيأتي لتلك بقوله (اذا جاء ابن الانسان في مجده وملائكته المقدسين معه) وهو يشير باتيانه الى ظهوره بعد صعوده متأنسًا والا فهو منذ ظهر انسانًا لم يزل في تلك الارض فلم يأتها من أرض أخرى لانه مرة يقول اتيت من السماء ومرة يقول أتيت الى العالم ومرة يقول خرجت من الآب فكأنه قال انما ظهرت في صورة الانسان لاخدم ويعني بالخدمة نفع المخدومين . وما بعد هذا تقدم جوابه

قوله ان كان الابن والروح مثل الاب في قدرته وخلقه فهم ثلاثة الهة قدماء نعارضه بأنه ان كان الحكيم المريد مثل القادر في قدرته فهم ثلاثة الهة قدماء وكما لا يلزم هذا كذلك لا يلزم ذاك لان الذات الالهية واحدة والموصوفات كثيرة من جهة تكثر صفاتها فقط . وقد قلنا أن الاقانيم الالهية لا تفاضل بينها في الذات الالهية وأوصافها الاخرى وانما اختص كل اقنوم منها بالصفة التي هو بها ذلك الاقنوم كما ان تلك الموصوفات الثلاثة أعني الحكيم والقادر والمريد لا تفاضل بينها في الذات الالهية وأوصافها وانما اختص القادر منها من حيث هو قادر بصفة القدرة وكذلك الحكيم والمريد وليست فرقة اليعقوبية وحدها تقول ان المسيح هو الله وان مريم والدة الله بل وسائر الفرق النصرانية الملكية والفرنجية والمارونية خلا الفرقة النسطورية فانها لا تقول مريم والدة الله لاعلى

انها لا تقول ان مريم والدة المسيح وانه هو الله لكن حذراً من ايهام دخول الولادة البشرية على اللاهوت المجرد البسيط · وأظن هذا ان كان كما زعم نصرانياً انه كان نسطورياً · وقد تضمن الاصل الثاني وثمرته صحة وصف المسيح بالالهية والانسانية وانا اذا قلنا مريم والدة الاله فانما نعني بالاله المسيح الذي يصح وصفه بانه الاله لانه الاله المتأنس ويصح وصفه بأنه مولود من مريم لان هذه الاوصاف الانسانية تصح على ناسوته بالذات وعلى جملته من جهة وجود ناسوته فيها جزءاً منها

أما رده على من يقول بالمساكنة بانكار علم الساعة فنقول لفظة المساكنة لا يرضى بها علماء النصارى ومن قالها منهم عساه انما أراد بها التمثيل للتفهيم وذلك بما يدل عليه آثار الساكن من المسكون لا على انه يعتقد أن الاله جسم يسكن في جسم . وقد مر الجواب عن علم الساعة

(الفصل السادس جواب الوجوه الاثنى عشر)

أما المقدمات التي أصدرها لتكون مسلمة بيننا وبينه التي سماها الوجوه الاثنى عشر فنحن موافقوه على صحتها بشرطين أحدهما أن يؤخذ بعضها على مفهوم ظاهر لفظها وبعضها لا على ظاهره والا فما الفرق بين يشم ويسمع في حقه تعالى والمفهوم من الظاهر بين اللفظتين الاحساس بالمشموم والمسموع بالانف والاذن وقد

وُصف تعالى في التوراة بالشم كما وُصف بالبصر والسمع. وكذلك قوله أنه لا يوصف وهو يصفه بالعلم وغيره. والشرط الثاني أن لفظة الاله عندنا تدل على الاله غير المتأنس وعلى الاله متأنساً وهذا هو المسيح . وهذه الاوصاف وما وافقها في المعنى هي أوصاف الاله بالمعنى الاول وهي أوصافه بالمعنى الثاني من حيث وجود المعنى الاول فيه . أما ما أورده من النبوات في الاوصاف التي قدّم ذكرها فقد ورد في النبوات ما يقابلها . فالتوراة كما تضمنت أن الله لا يراه أحد فيحيا تضمنت أن الله خاطب موسى وجهاً لوجه كما يخاطب الرجل صاحبه وكما قال داود في المزامير ان الله لا يأكل لحم العجول قال في التوراة موسى انه تعالى أكل عند ابرهيم لحم العجول . وكما قال داود حارس اسرائيل لا ينام قال استيقظ الرب كالنائم فهذه الأقوال المتقابلة وأمثالها انما تفسر ويظهر عدم تناقضها بتأول بعضها وحمل لفظه على غير ظاهره . وكما قال يوحنا ان الله لم يره أحد قال ان الذي لم يُرَ رؤي وكما قال المسيح انه رجل قال انه الاله وكما نقول انه ابن البشر نقول انه ابن الله . وهذه الاقوال المتقابلة أيضاً انما تصح على المسيح من جهة وجود الامرين المتقابلين في ذاته . أما ما أورده من رسالة بولس الى تيموثاوس فبولس انما وصف به المسيح لانه كتب (الى يوم ظهور ربنا يسوع المسيح ذلك الذي سيظهر في وقته الله الحميد القوي وحده ملك الملوك وتتمته) . أما ما أورده من الاوصاف الانسانية

وقال فهذا مخالف لما شرطناه من أوصاف الاله فقد بينا صحة وصف المسيح بالامرين . قوله قد نطق الانجيل الاول بأن المسيح قص شعره وقلم أظفاره . نقول أما الانجيل الثابت صدقه فما نطق بذلك مع انا لا ننكر جواز الامور اللازمة للبشرية وكيف ننكر ذلك وبولس يقول اشبهنا في كل شيء خلا الخطية وانما ننكر وقوعها لكونها لم تذكر . وأظن ان هذا موجود في الانجيل المسمى بانجيل الصبوة الذي صنفه قوم كما صنفوا عدة نسخ من مزامير داود ليس فيها شيء من المزامير الثابتة بأيدينا وايدى اليهود . قوله . وفي هذا تفريق بين الله والمسيح . نقول الفرق بين المفهومين لا يلزم منهما أن يكونا متغايرين من كل جهة وانما يلزم منه أن يكون أحدهما غير الآخر من الجهة الوارد عليها الفرق . فكما أن الازلي والخالق بين مفهوميهما فرق لان الذات أخذت في أحدهما صفة غير الصفة التي أخذت في الآخر مع ان الازلي هو الاله . والخالق هو الاله . كذلك الله والمسيح بين مفهوميهما فرق اذا أريد بلفظة الله الدلالة على الذات الالهية مجردة من التأنس وبها اذا أريد الدلالة على الذات الالهية متأنسة . مع أن الذات التي أخذت في المفهوم الاول مسلوبا عنها التأنس هي الذات التي أخذت في المعنى الثاني مثبتا لها التأنس . قوله فالازلي قد أكل وصلب باكل المسيح وصلبه وتمته . نقول ان أردنا بالازلي الذات الالهية البسيطة المجردة فلا يلزم ذلك فنحن انما قلنا ان الكل يتصف

بصفة جزئه لان أحد الجزئين يتصف بصفة الجزء الاخر فلا يلزم ذلك كما لم يلزم أن تكون نفس الانسان الناطقة تتلون وتتقطع بلون جسمه وقطعه وان لزم أن يتلون الانسان وينقطع بتلون وقطع جزئه الذي هو جسمه

أما قوله ان كان صعود انسان واحد شرفاً لاهل الارض فان انحطاط خالق الدنيا عار ومنقصة فقد قلنا ان نزول الاله الى الدنيا انما هو ظهوره فيها متأنساً وذلك لكمال جوده على الناس وليس كمال الجود نقصاً قوله (انما هو ثلاث أحدها أن هذا القول انما تكاد السموات تقع على الارض) من عظيم قبحه ومثله مثل ما يعرض لبعض المرضى من تخيله ان رأسه زجاج فيهرب من كل شيء توقياً لمصادمته . أو توهمه أن حبلاً حية فيهرب خوفاً منها . ويشبه أيضاً من يكيف ذوقه بمرارة ذوقه اما لقهر المذوق منه كالصبر واما لفساد مزاج كالصفراوي المحموم فانه يذوق حينئذ الحلو مراً . وهكذا هذا الرجل لما تصور ما يقوله بخلاف ما يريده نفر مما تصوره لا مما يريده ولما مال بذهنه الى المحسوسات ولم يأنسوا بها حمل المعقولات على حكمها . فالسموات ممتنع وقوعها على الارض لان تشبيهه اليها يشبه نقطة في وسط دائرة والاله ممتنع انفعاله لانه غير قابل للانفعال . قوله الذي آخره وما كانت حاجته الى ذلك يعارض أن يقول له وما كانت حاجته الى ارسال رسله المحبين له المحبوبين منه الى من أساء اليهم كل الاساءات وكما أن ذلك لجوده.

وقصده نفع المختارين من غير قهر كذلك وهذا لكمال جوده عليهم.
وكل ما أورده من الاوصاف المتقابلة يصح على المسيح لانه اله متصل بانسان اتصالاً مخصوصاً يسمى اتحاداً يشبه اتحاد نفس الانسان ببدنه وكما يصح على الانسان وصفه بالاوصاف الانسانية والجسمانية كذلك يصح وصف المسيح بالاوصاف الالهية والانسانية واعلم أن جواب هذا الرد يدور على هذا المعنى وقد تكرر فاكتف به في أمثاله

قوله ان اليعقوبية يقولون ان أمور المسيح كانت خيالاً لا حقيقة قلنا بل يكفرون من يقول ذلك . قوله ان اليهود لم يزالوا قبله يصومون ويصلون وتعلمهم أنبياؤهم الخير فما كانت حاجة الى تعليم ذلك بنفسه . نقول انه لم يأت ليعلم اليهود فقط لكن العالم كما قال . ثم نقول وقد شهد الوجود بالتوراة والانجيل بالفرق بين تعبد اليهود وتعبد النصارى . واليهود على ما شهد به كتبهم عبدوا الاوثان على عهد كل نبي وكل ملك لهم من موسى الى ظهور المسيح فكيف الوثنيون وهم أهل العالم كانوا ؟ والنصارى على ما تشهد به كتبهم والوجود يتعبدون تعبداً لم يسمع بمثله ولا يقدر غيرهم على بعضه لا سيما رهبانهم وهم كثيرون من كل صنف من الناس

قوله وما كانت حاجته الى أن يتمثل لهم ليعلمهم التغوط والنوم نقول ظاهر انه لم يأت ليعلمهم ذلك وانما تمثل ليعلمهم ما قد تضمنه الانجيل وشهد به الوجود مما قد تعلموه من الاخلاق الفاضلة والاعمال

الكاملة فراضوا القوة الشهوانية حتى امتنعوا من الفكر في الشهوات الرديئة ومن الاغتذاء بأكثر من الاصناف والمقادير الضرورية وراضوا القوة الغضبية حتى اجتهدوا في الاحسان الى من يسيء اليهم واستولت فيهم النفس الناطقة حتى ماثلوا الملائكة في تسبيح الله ليلاً ونهاراً . قوله جعلوا الاله الازلي منه مولوداً ومنه غير مولود نقول نحن لم نجعله كذلك وانما وصفناه بما هو عليه كما أمرنا وانما نقول ان ذاتاً واحدة لها صفتان معنى احداهما متولد من معنى الآخر كتولد معنى الفكر من معنى العقل . فكما أن معنى المفكر متولد من معنى العاقل كذلك معنى الابن متولد من معنى الاب . قوله ومنه متحد ومنه غير متحد نقول لسنا نقول بالهين الواحد متحد والآخر غير متحد وكما يصح ان نقول الاله خالق من حيث هو قادر لا من حيث هو أزلي . هكذا قلنا الاله اتصل بنا من حيث له صفة البنوة لا من حيث له صفة الابوة وانما قلنا هكذا لان الانجيل الثابت صدقه شهد به . قوله ومنه ناسوت ومنه لاهوت نقول لسنا نقول بالهين أحدهما ناسوت والآخر لاهوت وانما لما اتصل اللاهوت بالناسوت الاتصال المسمى بالاتحاد وكان من مجوعهما المسيح قلنا المسيح اله متأنس كما لما كانت الحيوانية متحدة بالناطقية في الانسان قيل انه حيوان ناطق ولما كان المسيح مجموع اللاهوت والناسوت وصفناه بالاوصاف اللاهوتية والناسوتية لوجودهما في ما هو موجود فيه وانما يستحيل الوصف بالأوصاف

الثبوتية المتقابلة لغير الحقائق المركبة ولكن فليس بمستحيل وصف الانسان بأنه مفكر بعقله وغير مفكر برجله وهـذا جواب قوله ومنه خالق وتتمته

قوله لا ندري بمن اقتدوا من الانبياء والحكماء نقول اما من الحكماء فبالله الحكيم المطلق وقد كتب في كتب أخرى مطابقة شريعتنا الفلسفة . وأما من الانبياء فبأكثرهم كداود وأشعيا وقد جرد لهذا الغرض كتاب من نبواتهم . قوله من الذي اختار ما اختاروه مذ كانت الدنيا . قلنا أكثر أهل الدنيا الذين هم النصارى . قوله وصار الخالق لحماً قلنا هكذا قال الانجيل (وإله هو الكلمة والكلمة صار جسداً) ويعني بالكلمة الابن لان الكلمة متولدة من العقل كتولد الابن من الاب لا الكلمة الصوتية المقابلة للخرس لكن الكلمة الفكرية المقابلة للبهيمية . وأقواله هـذه تعارض بأن يقال له . ومن الذي قال قبل ورود التوراة بما ورد في التوراة بل كل من ادعى كتاباً الهياً فعليه أن يثبت انه ليس تكراراً محضاً لما ورد قبله والا فلا فائدة به . قوله والذي مات صار الهاً نقول لسنا نقول هذا فان أشار بالذي مات الى المسيح الذي مات بناسوته فالمسيح لم يزل الهاً بلاهوته وان أراد مجرد ناسوته فناسوته لم يستحل من طبع الانسانية الى طبع الالهيـة . قوله وان جعلوا الابن جداً لاجداده قلنا لسنا نقول ان المسيح قبل ابرهيم وخالقه بما هو به مولود من داود . قوله سبحان من يسقيهم غيث

السماء وينبت لهم الارض . قلنا شهادة الوجود باستمرار غالب الارض وظلها لهم يشعر بأنهم المقصودون بانزال الغيث اليها واطلاع النبات منها بل وبأصل خلقتها أما قوله استحال لحماً وانهزم لحماً مغلوباً فلم نقل هذا . قوله ومن المحال أن يرضى بذلك قلنا قد شهد الوجود بأن الناس كلهم الا القليل منهم قد شهدوا برضاه بما نسبوه اليـه على ما يعتقدونه حسب ما أمرهم به لا على ما فقهه الخصم فباي كلمة يغطى الف فم . لا جرم أن من رام أن يستر الشمس لفي تعب وهم . قوله الذي آخره اذا كان الاعـتماد على الاحسان لا على الايمـان قلنا انما اعتمدنا على الاحسان وما يلابه من الايمان

(الفصل السابع)

(في جواب رده على الامانة الجامعة وما بعد ذلك)

أما بكر الخلائق في الامانة الجامعة فليس يقولها أحد من النصارى غير النساطرة . وقلنا نؤمن باله واحد ثم شرحنا هذا فقلنا انه اب وانه ابن وانه روح قدس وهكذا من يقول نؤمن باله واحد وانه موجود وانه حي وانه ناطق. وأوردوا واو العطف لينفوا رأي فرقة سبليوس القـائلة ان أسماء الاقانيم وان اختلفت فمعنى الاقانيم واحد لا يتميز أحدها عن الآخر بشيء وقد قلنـا انا نعتقد توحيد الذات الالهية وتكثير صفاتها فلا مناقضة ولا مضادة

وقد تضمنت هذه الامانة مساواة الاب والابن والروح القدس في الجوهر الالهي فاذاً كما أن الاب هو الخالق كذلك الابن هو الخالق . قوله عن الابن فجعلوه خالقاً وقد جعلوه في أولها مخلوقاً بقولهم ان الله خالق ما يرى وما لا يرى . قلنـا فالاله من قسم ما لا يرى أفترى يلزم من قال ان الاله خالق ما لا يرى أن يقول ان الاله خالق ذاته ؟ وقد قلنا ان المسيح ليس هو من جوهر اللحم بما هو به اله حق من جوهر أبيـه . ومن قال ان الثلج من جوهر النار بمعنى المساواة بين الهيولي الحاملة لصورة الثلج والهيولي الحاملة لصورة النار لم تكذبه العلماء . وقد قلنا ان بكر الخلائق لا يقولهـا الا النساطرة وبولس الرسول وصفه بالبكورية ولعلهم يريدون بها انه كما ان البكر هو الذي لا يسبقه غيره في ميـلاده ويتقدم غيره في ميلاده هكذا المسيح لم يسبقه غيره في ميلاده من عذراء بغير رجل وهو قبـل غيره في ميلاده من المعمودية وفي ميلاده من القبر أعني القيامة العامة التي لا يعقبها موت فقـد سمي العماد في شريعتنا ميلاداً روحياً وهو فعله أولاً ثم شرعه للمؤمنين وقد سميت القيامة العامة ميلاداً كما قال النبي ان الارض حينئذ تطلق وتلد . وهو أول من قام من الاموات هذه القيامة العامة التي لا يعقبها موت . ولسنا نقول ان تولد الابن من الاب كالولادة بين المتناسلين حتى يلزم تقدم الاب على الابن بالزمان وانما نقول انه كتولد المعلول من العلة ولسنا نقول ان الذي كان جسماً نزل وتجسـد

ولا يلزم من هذا قولنا أن المسيح نزل وتجسد فكما قلنـا نؤمن باله واحد وكان هذا القول مجملاً ثم شرحنا تفصيل ايماننا بأب وابن وروح قدس هكذا لما قلنا نؤمن برب واحد يسوع المسيح وكان هذا القول مجملاً شرحنا تفصيل ايماننا هذا وقلنا ابن الله الوحيـد ووصفنا لاهوته الى حد قولنا مساو للاب في الجوهر الذي به كان كل شيء ثم وصفنا تأنسه فقلنا انه نزل وتجسد بمعنى ظهر لنا في الارض متأنساً وتممته . قوله ان اسم المسيح يدل على انه ممسوح وماسحه الله نقول لفظـة الممسوح تدل في العتيقة على من يُمسح بالدهن الالهي من الانبياء والملوك وتدل على المسيح المشهور بهذا الاسم على ان لاهوته قام لناسوته مقـام الدهن الالهي فلهذا سمي بهذا الاسم لانه لم يمسح بذلك الدهن الالهي ولهذه الاولوية اشتهر بهـذا الاسم وثبت له دون سائر الممسوحين أعني لكون مسحة أولئك أنما كانت باتصالهم بالدهن المختص بالله مسحه واما هـذا فكان اتصاله بذات الله . ولفظة المسيح تدل بالمطابقـة على جملة المسيح وعلى ناسوته بمفرده . والمسيحي في الحديثة هو الممسوح بدهن الروح القـدس في التعميد بقول المؤمن ان المسيح إله متأنس وعن الاول قال يوحنا الرسول وأنتم فيكم مسحة من الروح القدس وعن الثاني قال بولس الرسول . والله هو الذي يثبتكم ويثبتنا معكم على الايمان بالمسيح الذي به مسحنا وختمنا وجعـل اربون روحه فينا

ولم نقل ان لاهوته ماسّ لناسوته لان المماسة لم تذكر الا في
الاجسام وصفاتها ولا نقول سكن فيه ومن قال سكن اراد اتحد .
قوله كل ماسح جسم قلنا الا هـذا الماسح . قوله وقد قال داود
النبي وتممته قلنا قد أوردنا النبوة الداودية التي استشهد بها بولس
من أولها وقد تضمنت انه دعاه في أولها الله لان بولس قال . وفي
الابن قال كرسيك يا الله الى أبد الابد . وساق الكلام الى قوله
كذلك مسحك الله الهك . وقلنا ان هذا مثل استخبار المسيح اليهود
عن المسيح ابن من هو فلما قالوا ابن داود قال لهم فكيف قال
داود قال الرب لربي فان كان هو ربه فكيف يكون ابنه . فاسكتهم
وقلنا ان المراد بهذا انه الاله بلاهوته وانه من نسل داود بناسوته .
قوله انه قلّب كتبنا فوجدها تنطق بانسانية المسيح واوصافها قلنا
لسنا ننكر ذلك لكننا نقول انها تنطق أيضاً بالهية المسيح واوصافها
قوله وهو عندنا لم يقتل ولم يصلب قلنا وكذلك عندنا لكن
بلاهوته فاما بناسوته فشهد الانجيل الثابت صدقه والتواتر الملائم
والاجماع العام انه صلب وقتل تحقيقاً لا تشبيهاً ولم نقل انه جزء
من أجزاء الدنيا خالق الدنيا ولا ان الشيطان غلب المسيح وقتله
وانما نقول خلاف هذا

قوله القليلة هي الفروع قلنا الاعتقاد لايجحد قليلة كما لايجحد
كثيرة قوله لعل الله يفعل ذلك أو قد فعله مرة أخرى قلنا ان
الرسول المؤيد قد قال لنا انه فعل ذلك مرة واحدة ولا يفعله مرة

أخرى . قوله ان الابن ما كسر شوكة الخطية تقول ان أهل العالم
كانوا في أديانهم على قسمين القسم الاكثر جداً كانوا يعبدون
غير الله فبعض منهم يعبدون الكواكب وآخر يعبدون النار
وجماعة يعبدون الحيوانات والاشجار واكثرهم يعبدون الاصنام
والاوثان وكانت أعمال الوثنيين الظاهرة مشاكلة لاعتقادهم
واحرى كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية الذي يدل على ما كان عندهم
من أصناف الزنا والى هذا أشار كبير الرسل بقوله يكفيكم ما قد
مضى من الزمان الذي عملتم فيه بهوى الشعوب الذين يسعون في
النجاسات والسكر والشهوات بأنواع كثيرة والزمر والغنا والادناس
ونجاسات كثيرة من عبادة الاوثان والقسم الاقل جداً كانوا يهوداً
وكتبهم تشهد بأنهم لم يزالوا يكفرون بالله ويغضبونه ويعبدون
الاوثان . فاما مذ عمت المسيحية كل الناس الوثنيين واليهود وغيرهم
الا الاقل جداً من القسمين زالت الوثنية كلها من العالم الا اليسير
وعبد الكل الاله بكل ما يُعبد به من الناس الا القليل . وقد
تقدم بيان هذا والوجود شاهد به ولعمري لقد فاض فضل أعمال
الشريعة المسيحية حتى أصلح أعمال اليسير الذين لم يعتقدوها ويدل
على هذا ما تراه من تمسك اليهود بسنن شريعتهم ليس المفروض
منها فقط بل والتطوع من صوم وغيره وقد كانوا في أزمنة أنبيائهم
وملوكهم على ما تدل عليه كتبهم من العصيان وعبادة الاوثان

قوله لعل كذا ولعل كذا. أما من العقل فان هذا لا يجوز على

القادر الحكيم وانما جازما كان منه كتمام ما ذكرناه قبلاً وأما من الشرع فقد أوردنا قول بولس الرسول المؤيدان ذلك كان في الايام الاخيرة مرة واحدة وانه ما بقي يمكن أن يكون ولم يزعم أحد من العارفين بالشريعة النصرانية ان الله لم يحل في المسيح الا بعد ثلثين سنة . وهذا يحكي لنا عن العوام الجهال بالشريعة من النساطرة وكلامه يدل على انه كان منهم

(الفصل الثامن)

(في جواب الوجوه الاربعة وما بعدها)

قوله الملاك قال لها ان خالقك خالق الدنيا . نقول قد تبين في الاصل الرابع ان الحكيم يخاطب كل واحد على قدر فهمه واذا كان لما قال لها انها تلد من غير رجل انكرت هـذا فكيف لمرأة عقل تحتمل ذلك الذي لا يحتمله عقـل بشري الا ايماناً تقهره الآيات ومع هـذا فقد قال لهـا انه يدعى ابن الله ولم يرد البنوة التفضيلية فكل الاسرائيليين كانوا يدعون كذلك فأية مزية عليها وانما لم يفصح بالكمال في مبدأ الامر للسياسة ويدل على السياسة في مخاطبتها بما يلائمها . قوله ان الله يعطيـه ملك داود وقد شهد الانجيل والاجماع بانه لم يملك ملكاً أرضياً ولهذا قال ان للثعالب مغاير ولطيور السماء اوكاراً وابن الانسان ليس له موضع يسند رأسه ولما كان ملكه ملكاً الهياً كما قال ان ملكي ليس هو من ههنا قال الملاك ولا يكون لملكه انقضاء وعساه أشار الى المؤمنين به

واقامهم مقامه في قوله ويعطيه الرب كرسي داود أبيه . اما الوعد لداود بالكرسي الارضي فقد ذكر له شرطاً فقال . ان حفظ بنوه عهدي . واولاده ماحفظوا عهده لانهم عبدوا الاوثان وساروا سيرة شريرة كما شهد كتاب أسفار الملوك . واما عن الملك السماوي الذي للمسيح المولود بالجسد من نسله فلم يوقفه على شرط لكن اكده بقسم فقال. اقسم الرب لداود ان أيامه تكون كايام الشمس. وظاهر ان ايام داود ونسله الاسرائيليين لم تدم كايام الشمس فالاشارة اذن بدوام الايام الى هذا المولود من نسله بالجسد المقول عنه بالملاك ولا يكون لملكه انقضاء.

اما اعتماد المسيح فلانه كمل بفعله ما شرحه لنا بقوله . وقد تقدم الجواب عما بعد هذا الى قوله وقال لوقا . قوله ولم نر المسيح اجاب يحيي بن زكريا باني خالقك ولا الاله متحد بي لما ارسل اليه يقول له انت هو الآتي ام ننتظر غيرك . نقول انه لم يرسل ليعلم من هو فانه قد شهد له بانه المسيح وقال انما جاء ليظهره لبني اسرائيل وانما اراد تحقيق ذلك وتصديق اقواله بافعال المسيح عند الذين انما جاء ليظهره لهم بشهاداته . فلو قال انا هو الاله المتأنس لما قبلوا منه قوله فحقق ذلك بافعاله فوهب حينئذ للعميان النظر وشفى كثيرين من الامراض والارواح الشريرة . وقال لرسولي يوحنا امضيا وقولا ليوحنا ما رأيتما وسمعتما ان العميان يبصرون والموتى يقومون والمساكين يبشرون فطوبى لمن لا يشك

في انه الاله المتأنس فهما ما كانا يتشككان فيه لو قال انه نبي وانما تشككا فيه وعانداه لما ادعى الالهية وهما يريانه انساناً في الظاهر ويدل على ذلك قول بعض اليهود له. ليس من اجل الاعمال الحسنة نرجمك لكن لاجل التجديف واذ أنت أنسان تجعل نفسك الهاً. وقول الانجيلي. وكانوا يريدون قتله لا لكونه يحل السبت فقط بل ولانه يقول انه ابن الله [illegible] نفسه بالله. ولما ذهب رسولا يوحنا مدحه سيدنا للجمع بانه افضل من نبي ليعرفهم انه لم يستخبر لجهله بما استخبر عنه وأنه ماشك فيه. قوله فان كان المسيح مولوداً من الروح القدس كما قال الملاك فما معنى نزول الروح القدس عليه وقت عماده كهيئة حمامة كما قال يوحنا. نقول كونه مولوداً من الروح فغير ظاهر للحس ونزول الروح عليه بشبه حمامة ظاهر للحس والقصد بهذا كان تمييزه من الحاضرين بانه المشار اليه بالصوت القائل. هذا ابني الحبيب. ليعرفه يوحنا لانه قال وانا لم أكن اعرفه لكن من ارسلني لاعمد بالماء هو قال لي ان الذي ترى الروح ينزل ويثبت عليه هو يعمد بالروح القدس وانا عاينت وشهدت ان هذا هو ابن الله. وليست الاشارة في هذه البنوة التفضلية فان الحاضرين كلهم اعنى بني اسرائيل كانت لهم البنوة التفضلية. قوله ان يوسف انبأه الله بالملاك في الحلم بما يعلمه وكذلك المجوس انبأهم بالكواكب فلم ما سميتموهم انبياء أقول ان هذا من الانبياء كثير في العتيقة والحديثة وانما المخصوص باسم النبي المطلق هو من كان قد

تنبأ على المسيح اعني ذكر علاماته في حال ظهوره. ولهذا دعا زكريا يوحنا ولده نبي العلي المنطلق امامه ودعا الانجيلي حنة نبية لانها تنبأت عنه بامور كثيرة كما قال

قوله لو ظهرت آية المجوس للحاضرين لكان ذلك ادعى لهم الى قبول دعوته من ظهورها لاهل المشرق قلنا كان المقصود بذلك شيوع الخبر بعظائم اموره منذ مولده في الاقاليم توطئة للمرسلين لاخذ الامم بالايمان به. وايضا فمع ظهورها لاهل المشرق ولاهل البلاد التي ساروا فيها في حضورهم والتي رجعوا فيها في عودتهم قد ظهرت للحاضرين بالتدبير الالهي لانهم عندما وصلوا الى القدس لم يظهر لهم الكوكب الذي جُعل لهم هادياً اليه فاجتمعوا بالملك الحاضر اعني هيرودس واستخبروا عن مولد المسيح. فاستحضر اليهود واستخبرهم عن مولد المسيح فقالوا في بيت لحم فلما خرجوا ليمضوا اليها ظهر لهم النجم فاقتدوا به الى ان وصلوا اليه فقدموا اليه قرابينهم واُمروا بملاك الله ان يعودوا في طريق أخرى. قوله ذلك في كتب العجم قلنا بل هو موجود في كتب اكثرهم يعني الذين صاروا نصارى. انما انكاره ان يوحنا لم يعظم المسيح ويتبعه فجوابه اما تعظيمه فقد شهد به الانجيل وقد تقدم ذكر بعضه في الرد والجواب واما كونه لم يتبعه فلان الشاهد لا ينبغي ان يكون من اصحاب المشهود له واتباعه لاسيما بمثل هذه الشهادة فبالتدبير الالهي لم يزل في البرية منذ مولده الى ان اتى الماء وعمد فاجتمعوا اليه

فشهد لبني اسرائيل بان هذا هو المسيح ابن الله وبعقب اظهاره لهم قال ما معناه أنه صديق العروس واذ قد تسلم العروس عريسه ينبغي للصديق ان يخرج وحينئذ أخذ وسجن وقتل . وشبه المسيح بالعروس والامة بالزوجة من جهة ان الزوجة يجب عليها ان لا تتبع غير زوجها ولهذا شبه المسيح نفسه بالعريس في فصل العذارى وغيره . ولهذا قال الرسول خطبتكم بكراً نقية لرجل واحد هو المسيح ولهذا كان الله يقول للامة الاسرائيلية عند ما يعبدون الاوثان انني قد تزوجت زوجة وقد زنت عليّ . أي تبعت غيره .

قوله عن يوحنا انه عند ما نصح امته من تركه اذاعة ماسمعه ورآه نقول قد أذاع ما اقتضت الحكمة اذاعته في ذلك الوقت فان الايمان بالمسيح كان منتظراً به ارتفاع ظهوره بالجسد وارسال الرسل في سائر الناس بالآيات الآلهية مكملين بالروح القدس ويدل على هذا قول المسيح لتلاميذه لاتخبروا احداً بهذا حتى يقوم ابن الانسان وما يجرى مجرى هذا القول . قوله ان يوحنا قد انكر معرفته وشك فيه قلنا قد تقدم جوابها .

(الفصل التاسع)

في جواب سؤاله عن تسميتنا للمسيح الهاً وما بعد هذا

قد تقدم بيان صحة تسميتنا للمسيح الهاً . قوله ليس مولده باعجب من كون آدم من لا أب ولا أم . قلنا كون آدم مثل باقي الحيوانات وما له أمثال متقدمة وحاضرة فليس بعجيب وأما مولد المسيح من بتول بغير رجل في عالم وأزمنة لم يولد فيها انسان من عذراء بغير رجل لا متقدماً ولا متأخراً فعجيب جداً عند العقلاء وقد تعجبت الانبياء. قوله وليس باعجب من كون الملائكة قلنا خلقة الملائكة كخلقة النور والسماء والارض فلها امثال ومولد المسيح لا مثل له فهو أعجب وأغرب وبالجملة فنحن لا ننكر أن الابداع عجيب وانما نقول ان هذه آية من جملة الآيات المقتادة للايمان بان هذا المولود على خلاف ميلاد جميع الناس ليس هو انساناً محضاً كسائر الناس . قوله ان الانبياء قد عملوا الآيات مثله قلنا ليس كذلك فكل واحد من الانبياء انما فعل بقوة الله مثل بعض آياته ونسب ذلك الى الله وكرهوا وانكروا توهم من ظنها فعلهم . فأما المسيح فاظهر من الآيات اكثر من جميعهم ولهذا قال لو لم أعمل فيهم اعمالاً لم يعملها آخر لم تكن لهم خطية . وليس يجب أن يساوي الحيوان الناطق بغير الناطق لكون بعض الطيور يعلّم حتى يحكي بصوته بعض ألفاظ الانسان او لكون النحل

يجيد بنايته الهاماً او لكون القرد يُعلّم فيحاكي الانسان في الرقص. وأيضاً فمع اظهاره أكثر نسب ذلك الى ذاته وقال ان افعال الاله هي أفعاله ولم ينكر أن تنسب اليه . ويدل على الافعال قوله لو لم أفعل أفعالاً لم يفعلها آخر. وأعماله التي شهد الانجيل أنها لو كتبت واحدة واحدة لما وسعها العالم وقوله. ان لم تصدّقوا فآمنوا باعمالي . وعلى الثاني قوله. كل ما يعمله الاب يعمله الابن وكل ما للآب فهو لي وأنا والآب واحد . وعلى الثالث قول الابرص له . ان شئت قدرت على تطهيري فقال له قد شئت فاطهر فطهر . وقول قائد المئة لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف بيتي لكن قل لي كلمة فقط فيبرأ فتاي فاني مرتب تحت سلطان ولي جند ان قلت لهذا اصنع فيصنع فقال له كايمانك يكون لك فمدح امانته كثيراً فبرأ فتاه وقول الاعميين . ارحمنا يا ابن داود فقال لهما أتؤمنا اني أقدر أن أفعل هذا فقالا نعم يارب فلمس أعينهما وقال كايمانكما يكون لكما فانفتحت أعينهما . وأعجب ما أظهره بذاته في حال ظهوره كونه أقدر رسله ان يعملوا باسمه من الآيات أكثر مما أظهره بذاته ليقتادوا الناس الى الايمان به فعملوا واقتادوهم الى ذلك فاما الانبياء فذكر عنهم خلاف هذا وهو أن اليشع النبي دفع لتلميذه العصا التي له وأرسله ليقيم ابن الارملة فلم يقدر واما بطرس لما أرسله المسيح بعد ان أعطاه سلطان الآيات والتصرف في الارواح والاجساد والنفوس فكان يقول للمقعد والميت باسم المسيح قم

فيقوم وبلغ الى ان صاروا يضعون اسرة المرضى في طريقه لكي يقع عليهم ظله فيبرأون . وكذلك بولس وباقي الرسل عملوا من الآيات باسم المسيح اكثر مما عمله بذاته في حال ظهوره وبهذا اخبرهم قائلاً ليس مثل هذه الاعمال فقط تعملون لكن واعظم منها . واما انه اقدرهم على الآيات فمكتوب في الانجيل هكذا واعطاهم سلطاناً على الارواح النجسة لكي يخرجوها ويشفوا كل الامراض والاسترخاء . وامرهم قائلاً اشفوا المرضى اقيموا الموتى اخرجوا الشياطين مجاناً اخذتم مجاناً اعطوا . واما انه اقدرهم على ذلك فلكي يقتادوا جميع الناس الى الايمان به والعمل بشريعته ويدل عليه قوله لهم . انطلقوا الى العالم واكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن . وقوله . اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم حفظ جميع ما اوصيتكم به وها انذا معكم كل الايام والى انقضاء العالم . واعجب من هذا ايضاً ان رسل رسله للبشارة بشريعته كانوا يصنعون الآيات باسمه ويقتادون الناس الى التدين بدينهم كما عمل رسله والوجود شاهد بهذا اعني ان المؤمنين بكل اقليم يتناقلون ان مبدأ ايمان اهل اقليمهم كان على يد بطرس الرسول او غيره من الرسل او على يد مرقس او نائب غيره . وكما قيل ان من قال للملك يا منافق فهو المنافق هكذا من كذب الوجود فهو الكاذب وفي نعت من يجحد الشمس نورها ويؤثران

يأتي لها بغريب مثل من لم يسم المسيح الهًا لكونه انبأ بما سيكون
وقد مر الجواب على قوله الهي الهي وعن نبوة اشعيا وما اورده
بعد هذا من الانجيل لم يذكر وجه اعتراضه لنجاوب عنه وفي
بعضه تغيير عما في الانجيل . قوله أن المسيح اعترف بقوله بانه نبي
بقوله لا يهان نبي إلا في مدينته وقومه . نقول معنى هذا أنه كما أن
النبي لا يُكرم في مدينته وقومه هكذا أنا لم أكرم بين قومي الذين
أنا بينهم بناسوتي . وكما أنه لو تمثل انسان بقوله . مغنية الحي
ما تطرب . وارتحل من ذلك الحي لم يلزم أن يكون قد اعترف بانه
مغن . كذلك الاول غير لازم . قوله جعل يبكي . ليس في
الانجيل في هذا الموضع واظهاره في ليلة صلبه الحزن وصلاته
وقوله ان أمكن صرف الكأس فليكن كمشيئتك لا كمشيئتي قصد
به أمرين أحدهما تحقيق تجسده ولهذا قال الروح مستعد والجسد
ضعيف ومع هذا فطائفة من النصارى الى زماننا هذا ترى أن
تجسده كان تخيليًا لاحقيقيًا وكذلك آلامه وغير النصارى أيضًا
قد اعتقد أن آلامه تخيلية لاحقيقية لما كتب لهم ما قتلوه ولا
صلبوه ولكن شبه لهم . والأمر الآخر تعليمه لمعلمي المسكونة
أعني الرسل تلاميذه ليعلموا الناس أن يلحوا في التضرع لله في
أوقات شدائدهم ثم يعتمدوا ما يريده الله لهم لا ما يريدونه لانفسهم
وهذا لانه أعلم منهم بمصالحهم والا فهو قد قال . لي سلطان أن أضع
نفسي ولي سلطان أن آخذها وليس لاحد أن يأخذها مني وقد

عرف من تعليمه انه الذي كان يعلّمه بالفعل وهذا لان التعليم بالقول
يفيد العلم والتعليم بالفعل يفيد العمل فمن ذلك أنه لما أراد أن
يعلّمهم فضيلة الاتضاع قال لهم . من يتضع يرتفع والكبير فليكن
كالصغير والمقدم كالخادم وان لم ترجعوا كالصغار لا تدخلوا
ملكوت السموات وتعلموا مني فاني متواضع بقلبي . وحرّضهم على
الجلوس في أواخر المتكئين وأعطى الويل للذين يحبون الجلوس
في صدور المجالس وكمل هذا القول بالفعل فشد وسطه بمنديل
كالخادم وصب الماء في اناء وغسل أرجل تلاميذه وقال لهم أنتم
تدعونني معلمكم وحسنًا تقولون لاني أنا كذلك لكن كما
عملت أنا بكم هكذا فليصنع بعضكم ببعض. وأيضًا لما قال. احسنوا
الى من يبغضكم ويأذيكم وصلوا عليه . فعل كذلك وكان اليهود
يبغضونه وهو يشفي مرضاهم وكانوا يألّمونه وهو يدعو لهم قائلاً
يا أبتاه إغفر لهم . وهكذا لما علمهم بالقول ان يلحوا الى الله تعالى
في أوقات شدائدهم وذلك بقوله . صلوا لئلا يكون هربكم في شتاء
أو سبت وصلوا لكيلا تدخلوا التجارب واسهروا وصلوا . فعل
هذا قدامهم في ليلة الصلب وأكثر الصلاة والتضرع ولما علّمهم
في الصلاة التي امرهم ان يصلوها ان يقولوا يارب لتكن ارادتك
فعل هذا قدامهم فقال فلتكن كمشيئتك لا كمشيئتي . وكيف
لا تكون هذه مشيئته وهو يقول انه لهذا جاء وان هذا يجب
ان يكون ولما قال له بطرس. حاشاك من هذا يارب انتهره وقال

له انت لا تعرف ارادة الله وقد قال أيضاً عن هذا . ان لي صبغة وأنا مجد لتكمل . وقد أنبأ به على ألسن انبيائه من قديم الزمان وقال انه جاء ليكمل النبوات وكيف لا يعرف ان كان يمكن صرف هذه الكأس عنه ام لا وقد أخبر به مرات كثيرة قائلا . ان ابن الانسان يجلد ويصلب ويقوم في اليوم الثالث. واخبر بأمور كثيرة تكون بعده وقال . كل ما للآب هو لي . فكيف لا يعرف مايعرفه الاب فظاهر ان هذه الامور والاقوال انما كانت تدبيرية ليكمّل مقاصد اخرى

واعمال سيدنا واقواله الانسانية على ما تضمنه الانجيل اظهرها لتحقيق بشريته وليعلّم مماثليه ويحقق ما تنبأت به الانبياء من علامات ظهوره ولعلمه أن قوماً يتوهمون ان تجسده كان تخيلاً لا حقيقياً قد اظهر تحقيق بشريته بموته في أثناء أعماله الالهية ليظهر ما يحقق بشريته مثل ما عمل في اقامته لعازر فانه أولاً أخبر تلاميذه بمرضه وموته وهو غائب عنه ليمضي ويقيمه ولما حضر ليقيمه استخبر عن موضع قبره وامر برفع الحجر عنه وعمل شكل صلاة وأخيراً أمره قائلا . لعازر أخرج . فخرج بعد أربعة أيام من يوم موته . ومثل نومه في السفينة وتسكينه بانتهاره حركة الريح والبحر بعد ان ضج تلاميذه وأيقظوه لما بدأت السفينة تغرق . ولايصاله اليسير الى غاية ما يمكن ان يبلغوه من الكمال الانساني قصد تعليمهم باقواله وأعماله مماثلته في مراقي الفضيلة كما تقدم بيانه في

الاتضاع وفي الاحسان والدعاء المسيء والمضر وفي الالتجاء الى الله في وقت الشدة وايثار جري الامور كنحو الارادة الالهية لا البشرية . كما أنه ذم الغنى والاتكال عليه وأمر بترك الاهتمام بالغد فى المأكل والملبس وندب طالب الكمال الى عدم القنية بالكمال ولم يعتن هو ولا بالامور الضرورية ففي السبوت التي هي أيام توسعة اليهود في مآكلهم ومشاربهم كان تلاميذه يجوعون حتى أنهم يفركون السنبل ويأكلونه ولما طلب منهم خبزاً ليباركه ويطعم الجمع فلم يجد معهم الا خمس خبزات من شعير مرة وسبع خبزات ويسير من سمك اخرى . وأما في اللباس فكان يلبس ثوباً واحداً وهو الذي كان عليه وقت صلبه حتى أن بعض تلاميذه كان مستتراً بأزار لاغير. وأما في السكن فقال لهم انه لم يكن له موضع يسند اليه رأسه وانه كان يعلّم في المجامع نهاراً ويأوى الجبال ليلا ولم يكن له دابة يركبها في الكرازة وفي التردد الى القرى والمدن بل مرة قال الانجيل المقدس . أنه أُعيي من تعب الطريق ومرة واحدة ركب فيها لتحقيق النبوة قال أنه استعار دابة وقيل أنه أمر المؤمنين بحفظ الوصايا الالهية ومحبة القرابة البشرية واحتمال القتل دون جحود الحق في الدين واطاع هو السنة حتى قال من منكم يوبخني على خطية وليس للشيطان فيّ شيء . وأحب البشر حتى قال . ما من حب أعظم من هذا ان يبذل الانسان نفسه عن أحبائه وقبل السب والامتهان والجلد والصلب والموت دون

جحود أنه ابن المبارك وبسبب اقراره أنه ابن الله ومعادل لله ولكي يظهر انه الذى تنبأت عليه الانبياء قديماً لعلمه ان قوماً من اليهود يقولون ليس هذا هو المسيح المنتظر قصد تحقيق العلامات التي تقدمت ودلوا عليه بها في حال مجيئه الاول اعني في حال تجسده . ومما شهد الانجيل من ذلك قوله . هذا كله ليتم ما قاله الرب بالنبي القائل . ها هوذا عذراء تحبل وتلد ابناًيدعى عمانوئيل الذى تأويله الله . معنا . وحينئذ تم ما قيل فى ارمياء النبي حيث يقول صوت سمع في الرامة بكاء ونوح كثير . وأبرأ كل سقيم ليتم ما قيل فياشعياء النبي. أخذ أمراضنا وحمل اوجاعنا. وكانهذا ليتم ماقيل في النبي القائل. قولوا لابنة صهيون ها هوذا ملكك يأتيك متواضعاً راكباً على اتان .وهوذا نحن صاعدون الى اورشليم ويكمل جميع المكتوب في الانبياء على ابن الانسان . ولكي يتم الكتاب قال انا عطشان . ولما أخذ الخل قال قد تم الكتاب وامال رأسه وأسلم الروح .

قوله فما معنى. ان امكن ذلك . قلنا معناه ان كان ذلك واجباً في الحكمة الالهية . وقد بينا ان هذا قول تدبيري وليس لم يعلم انه لم يقتل بل قد علم بذلك وأخبر به قبل كونه مرات كثيرة بوجوب كونه وزجر بطرس كبير تلاميذه لما اعتفى من ذلك قائلا له اذهب ورائي ياشيطان فانك لا تفكر فيما لله لكن فيما للناس . لعمرى وهكذا جرى أمر هذا الخصم وامثاله أى في

انكاره التدبير الالهي لمخالفة بعضه لحكم الفكر الانساني و عمري أنهم لمرحومون لاستحقاق الانتهار الالهي مع النداء الصعب لاسيما ليوقع لوازم البقاء على الموجب

قوله فلم سأل؟ قلنا لما تقدم بيانه وقوله ولمن تضرع ؟ قد تضرع من حيث الظاهر لذاته من حيث الخفي . وهذا كما يخاطب الانسان نفسه اذ يعظها ويداوي جسمه اذا مرض فهو من جهة واعظ وطبيب قائل وفاعل ومن جهة أنه موعوظ ومداو أي سامع وقائل مع أن القائل هو السامع اعني انهما واحد مركب منهما يتصف بأوصافهما لوجودهما فيه . اما قول بطرس لبني اسرائيل ان يسوع الناصرى رجل ظهر لكم وتتمته فقاله لاستدراجهم الى اقوال المسيح الى الذين آمنوا به كما يجب وهو انه ان كان انساناً في الظاهر فانه الاله متحد بذلك الانسان لان التعليم اختياراً للرأي الغريب يجب أن يكون بتدريج فيترقى من الاسهل فيه لظهوره الى الاصعب فيه لخفائه . وهكذا فعل بطرس فانه مع هذا القول لهم في المبدأ شهد بعد ذلك بالهية المسيح على ما شهد به انجيل مرقس فانه كتبه عنه ورسائله المقبولة من الاجماع الخارجة عن انجيله . ففي أول انجيل مرقس قال بدء انجيل يسوع ابن الله . وفي أول رسالته الثانية قال (من سمعان صفا عبد ورسول يسوع المسيح الى الذين مساوين لنا في كرامة الايمان الذي حسب لنا بحق الهنا ومخلصنا يسوع المسيح) وهو تبع في هذا التدريج

مما كتب في الانجيل أعني أنه كان يعلمهم بالامثال على قدر ماكانوا يطيقون سماعه . وبولس أيضاً مع هذا الغرض الحكمي قال . وانا الآن يا اخوتي لا استطيع ان اكلمكم كما يكلم الروحانيون بل كالاطفال في الايمان بالمسيح غذوتكم برضاع اللبن . وقوله ان بطرس قال ان الله جعل يسوع رباً ومسيحاً . قلنا ان هذا كان باتصال الرب بالناسوت اتصاله بالاتحاد وقيامه له قيام المسحية الدهنية فانه لم يمسح بدهن

قوله لان الله اقامه من الاموات قلنا لان الناسوت هو المائت بالذات واللاهوت هو المقيم بالذات جاز هذا القول في مبدأ التعليم وقد قلنا انه قد قال مع هذه الاقوال بتلك الاقوال وكررنا إنا لا ننكر وصفه بأوصاف الالهية والانسانية لوجودها له . قوله ان اسم الاله قد قيل على غير اسم الاله الحقيقي وكذلك الرب قلنا قد سبق في أول هذا الجواب انه اسم مشترك وان الحقيقي منه يتميز من غيره بالقرائن اللفظية والمعنوية . وان تسمية المسيح بالاله والرب قد اقترنت بما دل من القرائن القولية والفعلية على أنه الاله الحقيقي . قوله ان بولس قد استشهد من مزامير داود على ان المسيح انسان وقال انه الكاهن الى الابد شبه ملكيصادق قلنا انما شبهه الرسول بهذا من حيث تشابهما في التسمية والحبرية وخفاء الابوة لانه دعي ملك البر وملك السلم وبهذا سمى اشعياء المسيح وبه استقرت السلامة بين الاكثرين

بزوال عداوة الدين ولانه أخذ العشور من ابرهيم جد لاوي الذي لا يأخذ العشور من سبطه غير الاحبار والمسيح فهو الحبر الذي قرب ذاته عنا ولان ذاك لم تذكر قبيلته في التوراة والمسيح فهو الذي لا أب له من جهة ولا ام له من أخرى فهذا هو الذي ذكره الرسول في هذا الموضع وأراد ان يعرّف اليهود ان النبوة قد نطقت ببطلان كهنوت هرون عند ورود الكاهن الى الابد على غير طقس هرون . اما دعواه ان ملكيصادق عاش الى ايام موسى النبي فيجرى مجرى باقي دعاويه ويجوز ان يكون ذلك في التوراة التي ليست بايدي اليهود والنصارى كالمزامير التي ليست بايديهما والانجيل الذي ليس بايدي الامم النصرانية

قوله فكيف من سمّى الله باسماء لا تعرف معانيها نقول انه سمّى نفسه بها على ما شهد به الانجيل وقد بينا ما نعنيه باسم الآب والابن والروح القدس في ثمرة الاصل الاول وغيرها . وقد عاد في هذا الموضع كرر ما ذكره متقدماً والتكرار في كتابه كثير وسبب هذا اما الخذلان أو بعد الذهن أو عدم الدربة بالتصنيف أو المجموع ولتكراره الكثير اضطررنا الى التكرار . قوله ان كان هذا الابن ازلياً فليس بمولود لان اسم الازلية يقع على من لا بدء له . قلنا الازلي هو الذي لا مبدأ له زمنياً ونحن انما قلنا ان الابن مولود بمعنى ان له مبدأ ذاتياً لا مبدأ زمنياً فلا شك أن الصفات الذاتية عند الخصم وعند كل الواصفين لله بالصفات

الثبوتية أزلية لا محدثة فلها مبدأ لانها صفات وليست زمنية لانها ذاتية لازمة للازلي . قوله ومعنى المولود المحدث . قلنا الا اذا كان بمعنى ترتيب صفة ذاتية لله على صفة أخرى لها على ما تقدم شرحه. قوله كل محدث فله اخر . فيه نظر الا انه لا يتعلق بهذا الغرض ومن أخذ القانون من الامثلة ربما انخرم عليه بما لم يستقره . قوله ان أوجبتم الابوة للاب لقدمه او لكونه خالياً فالابن كذلك . قلنا لم نوجب الابوة لما ذكره بل لما ذكرناه سابقاً وقد بينا كيف نقول ان المسيح الله واما ان الله ليس بمسيح فهذا الحكم انما يصدق على اللاهوت بمفرده لا على المسيح الذى هو الاله المستأنس . وبعد هذا كلام قد تكرر ايراد مثله وجوابه . قوله فلاي هذه الوجوه اتخذ الله ابناً . قلنا هذا مثل قول القائل لاي وجه يطير الفيل ؟ وكما ان جواب هذا القول ان الفيل لا يطير هكذا جواب ذلك القول ان الله لم يتخذ ابناً لان معنى هذا . لم اتخذ الله له صفة ذاتية والذات الالهية ما صارت متصفة باحدى صفاتها الذاتية بعد ان لم يكن لها ذلك

(الفصل العاشر)

(عن الفرق الثلاث)

اما ما أورده أولاً عن الملكية وغيرهم فلم نسمع في شريعتنا من أحد العارفين بها وما يبعد وقوع مثله في المجادلة بين العوام

الجهلة من أهل الشرائع . وقد قلنا أن الآب والابن والروح القدس جوهر واحد له صفات ثلاث ذاتية والجوهر مع هذه الصفات ثلاث موصوفات وهي الاقانيم الثلاثة فكل واحد من الاقانيم أزلي عالم قادر بأزلية واحدة وعلم واحد وقدرة واحدة لان جوهرها المتصف بهذه الصفات واحد وهذا كقولك كل واحد من الحي العالم القادر أزلي بازلية واحدة . والخصم لظنه أن النصارى يقولون أن الاقانيم ثلثة جواهر مفترقة بالجوهر متساوية في معنى الالهية أورد في هذا الباب ما أورده . قوله أن المسيح يكون خمسة اقانيم قلنا بل اقنوم واحد مجتمع من الاقانيم التي ذكرها . فكما قال والثالث اقنوم الانسانية التي حدث من اجتماع بدنه ونفسه كذلك نقول نحن الارثوذكس ان المسيح اقنوم واحد مجتمع من لاهوته وناسوته ولم نقل أن بطن مريم وناسوت المسيح اشتملا على الاله لما حلت بالمسيح كما لم تقل الفلاسفة ان جسم الانسان وبطن المرأة اشتملا على النفس الناطقة لما حلت بالانسان بل قالوا ان الاله لكونه جوهراً بسيطاً غير جسم لا يقال انه داخل العالم ولا خارجه وان النفس الناطقة لانها جوهر بسيط غير جسم لا يقال أنها داخل الجسم ولا خارجه لان التميز عن الجسم بالدخول فيه والخروج عنه من صفات الاجسام وانما لكون بينهما ضرب من الاتصال والاختصاص أوجب مصير انسان واحد منهما ويتصف بأوصافهما ويصدر عنهما فعلهما . هكذا قلنا

أن الاله لكونه جوهراً بسيطاً بغير جسم ولا عرض لا نقول أنه داخل الجسم ولا خارج الجسم وانما بسبب اتصال خاص اوجب مصير هذا المسيح الواحد منهما ويتصف باوصافهما ويصدر عنه افعالها .

قوله فما دعاكم الى أن تسموا بعض الامكنة الهاً قلنا لم نقل ذلك وقوله ومحل للاله دون بعض . نقول لظهور الآيات الخاصة بالاله منه وحده . قوله وهو موجود في كلها بغير كيفية نقول فاذا كان وجوده في سائر الاشياء لايكيف وليس هو كوجود الاجسام أو الاعراض في الاجسام فكيف يلزمنا لقولنا بوجود لاهوت المسيح في المسيح وانحصاره فيه انحصار الجسم في الجسم وكيف يطالبنا بايضاح كيفيته ولم ندّع معرفة الكيفية وانما ادّعينا الوجود لما دلنا وجود الأثر على وجود المؤثر . وقد قلنا ان لفظة الابن مشتركة ويتميز الحقيقي والوضعي بالقرائن اللفظية والمعنوية . فهذا الابن قيل عنه . الابن الوحيد وقال عن نفسه انه ابن الله وانه والآب واحد وأنه في الاب والاب فيه وان الاعمال التي يعملها الآب يعملها الابن . ودعا الى الايمان باسمه بذاته وبرسله ومدح من اعترف له ببنوة الله وعمل بمشيئته الاعمال الخاصة بالاله كما قال له الابرص . ان شئت فانت قادر ان تطهرني فقال قد شئت فاطهر فطهر للوقت. فاما من دعي ابن الله من كل من سواه فلم يكن له من جميع هذه الامور سوى أنهم دعيوا من غيرهم بذلك على سبيل

الاكرام اما لاختصاصهم بعبادة الله دون من سواهم كبني اسرائيل في القديم واما لتشبههم بالله بافعالهم حسب امكانهم مع اختصاصهم بالايمان الذى دعاهم الله كالمسيحيين لا أنهم ادعوا ذلك ولا دعوا العالم الى الايمان به ولا باقي الامور التي تميز عنهم مجموعها

قوله لن يخلو تدبيره اما أن يكون لكذا او لكذا . نقول قد ثبت لنا في الاصل العاشر أنه دبر هكذا ولا شك في أنه حكيم فان ظهر لنا غرض تدبيره أو خفي عنا فليس يخفى عنا ان تدبير الحكيم لا يكون الا جيداً . ثم نعارضه بأن نقول لن يخلو ايجاده تعالى للمخلوقين ثم ارساله اولياءه الى الذين امتهنوهم وعذبوهم وقتلوهم من بعض الاقسام التي ذكرها ثم نقول ما علّمه لنا برسله المؤيدين وخلفائهم العلماء القديسين وهو ان جوده التام العام اصل لايجاده لنا وامداده ايانا بمصالح وجودنا الجسماني والروحاني وبلوغه بنا اختياراً منه ومنّاً بهذا التدبير الاخير الى كمال وجودنا سميناه كمال جوده . لا أنه فعل شيئاً من ذلك ليتكمل به من نقص او ليجتذب له به نفعاً او ليدفع به عنه ضرراً ولا ان شيئاً من ذلك يوجب له نقصاً وانما يوجب له مدحاً وشكراً

فاعلموا يامعشر المتفلسفين والمتشرعين اننا جميعاً متفقون في غاية مقصودنا وهي وصف الاله تعالى بصفات الكمال ونفي صفات النقص عنه ولهذا لكل قسم منا ان يحاول الاستدلال على ان الذي وصف به الاله هو الواجب ان يوصف به الاله لانه من

اوصاف كال الاله وان الذي وصفه به غيره ليس بجائز لانه من اوصاف النقص بالنسبة الى الاله وانما اختلفنا في هذا وهو ان الذي يقوله أحدنا أنه من صفات الكمال الالهي يراه الآخر انه من صفات النقص بالنسبة الى الاله . فالفيلسوف يسلب عنه الصفات الثبوتية ويقول ان اتصافه بها يجعله محلا للاعراض ويقتضي تركيبه والفيلسوف أيضاً يوجب للعلة الاولى الفعل بالطبع دون الاختيار ولهذا يعتقد قدم العالم ويقول ان فعله بالاختيار واحداثه العالم يقتضي استكماله بذلك بعد عدم الكمال وهذا نقص . وأما المتشرع فيصفه بالصفات الثبوتية ويقول ان نفيها عنه يقتضي وصفه باضدادها وهو النقص كله والمتشرع ايضاً يوجب له الفعل بالاختيار ولهذا يعتقد احداثه العالم ويقول ان الفعل بالطبع دون الاختيار يلحق بالجماد فهو غاية النقص ثم يختلف المتشرعون فيقول اليهودي ان الله شرع شريعة التوراة فلا يجوز أن ينسخها ولا يجوز عليها البدل لان البدل نقص ويقول النصراني ان شريعة التوراة هي مبدأ التوقيف والحكيم لا يعطي كال التعليم فى مبدأه . وأيضاً يحمل المسلم الكمالات الآلهية على الكمالات الانسانية والاحوال الروحانية على الاحوال الجسمانية . فيرى أن اتصال الشريف بالخسيس نقص في حق الشريف فينكر القول باتصال الاله بالانسان . ويرى ان مجموع لذة الانسان وسروره فى طلب المأكل والمشرب والملبس والمسكن وبالاكثر فى الجماع فيقول ان فى

الجنة لبناً وعسلاً وخمراً مسمرة وحلياً سندسياً وقصوراً لؤلؤية ونساء مستحسنات وأسرة وخداماً وان فى القبر مسائلة وفي الجحيم سلاسل طويلة ودقاميق وزبانية . واما من تفلسف منهم مثل ابن سينا فانه كتب في الرسالة الاضحوية ان هذه كلها انما ذكرت للترغيب والترهيب بما هو مطلوب من الجمهور ومهروب منه عندهم والا فهذه لذات جسمانية لا روحانية ولا يمكن ان تكون لذة الملاك انقص من لذة الحمار . واما النصراني فيحمل كمالات الشيء ولذاته على ما يليق به وفي كل عالم بحسبه فيرى أن الباري لاينقصه اتصاله بالانسان وان في ذلك كال جوده على ما تبين . ويرى أن هذه الاغذية انما هي لتبقية الشخص باخلاف بدل ما يتحلل من البدن وان الجماع انما هو بحفظ النوع باخلاف بدل الاشخاص المعدومة . واذا كان الشخص بعد القيامة لا يعدم فلا حاجة للغذاء ولا الجماع ويرى ان هذه اللذات انما هي ادوار مضار . وبعد اندفاع المضار بهذه الاسباب تصير هذه الاسباب أسباب آلام لا أسباب لذات كمن يدفع ألم الجوع بالشبع وألم العطش بالري من الماء . فان مهما يأكله ويشربه من الماء بعد شبعه وريه يصير سبباً للآلام وكذلك الاسراف في الجماع فلذلك نقول انها ملاهية للنفس الحيوانية في هذا العالم الجسماني لا للنفس الناطقة سيما في ذلك العالم الروحاني لانها لذات حيوانية لا ملائكية . فالكل يقصدون وصف الباري بالافضل وانه منحهم الافضل إلا ان الذي هو عند

بعضهم افضل هو عند غيرهم انقص . وقد بينا ذلك في موضعه في غير هذا الكتاب بياناً اتم من هذا . وليست هذه الحال بين الملل المختلفة بالنوع فقط بل وبين اصناف الملة الواحدة كالمشائيين مع من كان غيرهم من الفلاسفة. والقرائيين مع الربانيين من اليهود والنساطرة مع الملكية من النصارى والمعتزلة مع الظاهرية من المسلمين . ومن علم هذا الغرض جيداً لايكاد يبغض مجتهداً ولا مقلداً لاجل ما يراه من سوء اعتقاده وجمهور كل شريعة لا يكادون يتأملون هذا الغرض الصالح ويذعنون له لتكون اخلاقهم واعمالهم بحسبه . ولعل للحكيم في ذلك سراً تدبيري مثل ان يدع القليل مفترقين في آراء مخالفة لرأي الا كثرين حتى لا يبقى وجه مما نظن به انه من أوصاف الكمال الا ويصفونه به او حتى يظهر الرأي الافضل بالنسبة للآراء الأخر او حتى يحصل الاجتهاد بسبب المنافسة وبلوغ ما لا يوصل اليه من العلم والعمل بدونها أو حتي يحصل من اشتمال كل فرقة بعضها على بعض في دفع المضار عن المضرورين منها اما بسبب سوء الحظ أو سوء التدبير وظلم الغير ما لم يكن يحصل لو كان الكل شرعاً واحداً . فلهذا يوجد هذا الاشتمال في الفرقة القليلة أكثر من الكثيرة العدة أو يكون ذلك لمقتضيات فلكية على ما يراه المنجمون او لقضاء الهي على ما يراه القدريون او لسوء اختيار على ما يراه العدليون . او لسوء اتفاق على ما يراه القائلون بالاتفاق او لسوء مزاج عام على ما

يراه الطبيعيون او لمجموع من هذه الامور . أو لامور أخر لايعلمها البشر . وهذا أشرنا اليه قصداً في المسالمة بانهم يدعون أبناء الله

قوله لم يروه اصلح فساداً . قلنا قد بينا متقدماً قدر الصلاح الحاصل بالمسيحية قوله ولا قطع شعرة من حبائل الشيطان . قلنا ما بيناه هو دليل على ربط الشيطان وبطلان تأثيره . لان تبدل الرذائل من أكثر الناس بالفضائل وتعبد الاكثرين بشريعة الله بعد تعبدهم بشريعة الشيطان يدل على ذلك. قوله بل اورثهم الاستهزاء من سائر الناس . قلنا هذا ظاهر البطلان لان أكثر الناس هم المستهزئون بغيرهم وعمن يستهزئون بهم بسببه قال (طوبى لكم اذا عيّروكم من أجلي فان أجركم عظيم في ملكوت السموات ومن يخز بي في هذا العالم فان ابن الانسان يخزه اذا جاء في مجده . وقد قلنا اننا لا نعبد غير الاله وقلنا ان المسيح انما صلب اختياراً لا قهراً لا سيما من تلك الامة الضعيفة . فلو اراد لترك الشياطين تفرقهم كما عمل بالالفين من الخنازير . او جففهم بلعنة كما لعن شجرة التين فجفت قرب صلبه . ولم يكن له غرض في تجفيفها غير اشعارهم بقدرته على اهلاكهم ونفي توهم قهره . ولذلك لما اتوا اليه ليمسكوه قال لهم. من تريدون فتواقعوا الى خلف لانه شاء ذلك ليعلم ان ذلك التدبير كان اختياراً منه لا اضطراراً اليه وفي قوله شرذمة يسيرة دلالة على انه لم يكن مقهوراً والا فقد كان يمكنه لو انه انسان محض ان يترك الذمية ويصير على رأي

اصحاب المملكة فلا يتمكنون منه او يوافق الشرذمة المذكورة على رأيهم فينجو منهم

قوله فهذه المعاني التي نفرتني عنكم معشر النصارى . نقول اللوم لك لا للمعاني ومثلك من رأى ظاهر بيت الشهد فخاراً والنحل تخرج منه وتلسع ففر من الظاهر ولم ينل مما في الباطن من الشهد او كمن وجد صدفاً فرمى به وجهل ما فيه من الجوهر . اما قوله الذي آخره مما يدفع به عن نفسه فقلنا انه أثر ذلك وقال انه واجب له وانه لهذا جاء اى ظهر متأنساً . قوله فما اجرأكم بقولكم لو لم يأخذنا بقهر الآيات على اعتقادنا هذا وتذكرونه دائماً. قلنا لانه كمال الجود والا لما استجرأنا من مجرد العقل البشري ان نعتقده ولا ان نذكره . وها الخصم يعقب انكاره هذا ويصف الباري بما يمتنع في العقل الانساني ويقول بغير مثال ولا تكييف وهذا من دون ثبوت آيات بل دون ادعائها بل وبالاعتراف بعدمها وتعليل عدمها لعدم الفائدة بها . أفما المفهوم من ظاهر قوله على الشيء الجسمي كالمفهوم عن ظاهره في الشيء ؟ الا انه لكونه هو حاكم نفسه يقول بالشيء وينكر مثله ويجوّز لنفسه التأويل لو سئل ويمنع الغير منه . وهل قوله وسع كرسيه السماوات والارض يفهم على ظاهره بحس او بعقل . ولاجل امثال هذا اعتقدت طائفة من المسلمين تسمى الظاهرية اي الذين يحملون النص على ظاهره ان الله تعالى جسماً عظيماً وان له اعضاء عظيمة . وفي كتابه كثير

مثل هذا من الاستواء على العرش وذكر اليد . وبالجملة ما وهم ظاهره الجسمية ولا يخلص ... الا التأويل . وقد قلنا اننا لم نقل ان المحل اله . ونقول ان لفظة هذا الحلول عامة . والحلول على الانبياء والرسل بمعنى ظهور بعض آثار الحال الخاصة بكل ... . والحلول على المؤمنين بمعنى اختصاصهم بالحال بكونهم على ما اختاره لهم في اعتقادهم فيه وعملهم بمراده . والحلول في المسيح عند من يقول به بمعنى اختصاص المحل وهو الناسوت بالحال وهو اللاهوت اختصاص اتحادهما وهو مصير المسيح منهما واحداً كحال الانسان مع بدنه ونفسه. ولهذا قال الرسول بولس عنه. الذي حل فيه كل كمال اللاهوت تجسداً . وتبع في هذا قول الانجيل . واله هو الكلمة والكلمة صار جسداً وحل فينا ورأينا مجده مجد ابن وحيد لابيه . وقد قلنا ان البنوة للمؤمنين بالوضع والمجاز كمريم وغيرها والبنوة لاقنوم الكلمة بالطبع والحقيقة وقلنا ان حلول اللاهوت في الناسوت ليس كحلول الجسم في الجسم فلا يلزمنا مماثلة من يقول ان السماء دخلت في بندقة وقلنا ان قولنا ان اللاهوت صار مع الناسوت واحداً بمعنى صار منهما واحد وهو المسيح من غير استحالة بينهما واذا قلنا ان الاله اكل وقُتل فانما نعني بالمسيح وبينّا صحة وصفه بالاوصاف الالهية والانسانية فاذا قلنا أكل وقُتل انما نعني به انه فعل ذلك وقبله بجسده لا بلاهوته كما قالت الرسل . المسيح انما ولد وتألم ومات بالجسد . قوله وكيف يحل في جسم انسان عرض

من دون حلوله في روحه. قلنا كما اذا صار الجسم اسود ثم ابيض فان الروح لا تبيض ولا تسود وكما اذا اغتذى فنما ومرض فذبل فان النفس الناطقة لا تنمو ولا تذبل وكما اذا طُعن وسُمّر وقُطع فانها لا تنطعن ولا تتسمر ولا تنقطع ولو سلمنا أنها المتألمة لقبولها التألم لما لزم مثل ذلك فيما لا يقبل انفعالاً جسمانياً ولا نفسانياً

قوله أفما ترون أهل الاديان انما يصفون الله بالغلبة والعز؟. قلنا وكذلك نحن بالا[illegible] من قال ان الشمس أشرف على الكيمان واتصل نورها وشعاعها بالمزابل لم يصفها بالقصر والذل ومن قال ان السمندل موجود في النار لم يلزم من قوله احتراقه والاصل عدم القبول . قوله ومن العجب ان يحل الخالق في جسد فلا يسطع منه نور ولا ينثني عليه ويحف به وكيف لم تنفطر له الجبال وتهرب الانهار كموسى وكيف لم تظهر منه آيات اجلّ من آيات الانبياء من مشيه على الماء . وهلاك من قرب منه كالياس النبي . نقول قد شهد الانجيل بذلك وامثاله . اما النور فانه لما أراد استنار وجهه على الجبل حتى ان تلاميذه لما رأوه سقطوا على وجوههم. فلو ظهر ذلك دائماً لما حصل مقصود ظهوره وهو ان تجتمع الناس به ليسمعوا اقواله ويروا اعماله ومن كونه لما اراد اظهار نوره اظهره واذ أراد اخفاءه لم يظهره . ويُعلم الفرق بينه وبين موسى في هذا اذ هو يتصرف في ذاته بسلطان الحرية واما موسى فلما كان نوره من غيره احتاج أن يتبرقع في زمان استنارة وجهه وأيضاً فالمسيح

عمه النور وموسى استنار وجهه فقط وأما الملائكة فقد ظهر تسبيحهم له عند مولده وخدمتهم عند كونه في البرية والصخور تشققت عند موته والبحر والريح سكنا عند انتهاره لها ومشيه على البحر . وقد بينا مقدماً ان آياته أجلّ من آيات الانبياء ولما سأله التلميذان أن يشاء فيفعلا كما فعل اليا منعهما وعرّفهما ان تدبيره للناس في الشريعة الحديثة غير تدبيره لهم في الشريعة العتيقة وهذا لان التدبير في المبادىء غيره في الاواخر فكما أن الصبيان يُعلّمون قهراً والكبار العقلاء يُعلّمون اختياراً كذلك جرى الامر ثقفت الناس في المبادىء بالتوعد والوعد بالامور الجسمانية الحاضرة وعُلّموا أخيراً بالوعد والوعيد بالامور الروحانية المنتظرة ولهذا المعنى قال الرسول . وانما غاية سنة التوراة مجيء المسيح وقال وانما كانت سنة التوراة مرشدة لنا الى المسيح لنتبرر بالايمان به . فلما جاء الايمان لم نصر تحت أيدي المرشدين وقال انما هي وصايا جسدية وضعت الى زمان التقويم . قوله. ليعلم الناس أنه خالقهم . نقول قد علم أكثر الناس وهم أناس أعني وهم لم يخرجوا عن حرية الاختيار انه خالقهم بهذا التدبير الذي رأى الحكيم القدير أنه الواجب

(الفصل الحادى عشر)

(في ابطال الخطية وما بعده)

قوله فما باله لم يبطل بمجيئه الخطية والموت كما زعمتم. نقول قد أبطل الخطية بمعنى أنه شرع ما يبطلها مثل قوله . قيل للاولين لا تقتل ولا تزن ولا تحنث وأنا اقول لكم لا تغضبوا ولا تنظروا بشهوة ولا تحلفوا . فقطع أصل الخطية لتقطع أصلاً وفرعاً وثقف النفس التي هي الفاعل لتستعمل الآلة التي هي الجسد كما يجب وفي هذا كمال تثقيف الانسان لأنه مجموع النفس والجسم . وأيضاً لما كان في مبدأ التثقيف أقام حكاماً على الخطايا الظاهرة كالقتل والحنث ليمنعوا منها قهراً وأقام أيضاً رؤساء في أواخر التعليم ليردعوا عن الخطايا الخفية اختياراً فان الشهوة الباطنيـة لا تظهر للحكام المقدم ذكرهم ليمنعوا منها . فاذن بالشريعة المسيحية تم ابطال الخطية أعني تم تشريع ابطالها ظاهراً وباطناً . وقد بينا متقدماً بطلان أكثرها بالفعل من أكثر الناس منذ المسيحية بالنسبة لما تقدم وبابطاله الخطية أبطل الموت النفساني الذي سببه الخطية

أما ما ذكره من خروج الابن وخروج الروح أيضاً من الآب وارسالها فذلك بمعنى الظهور للناس. ومخاطبتهم بما خفي عنهم وتقدم بيان هذا . قوله فما الفرق بينهما نقول لما كان الفرق

بينهما غير ظاهر للعقل الانساني بتحرير لا سيما القدرة عليه بالنطق الكلامي لم نذكر منه الا ما ذكره الانجيل وهو ان الابن ابن والروح روح وكما أن الاشياء الطبيعية لا تعلل بغيرها فاذا قيل لم كان الانسان ناطقاً والنار حارة ؟ لا يقال الا لانه انسان والا لانها نار بمعنى أن له نطقاً ولها حرارة . هكذا لا يقف العقل على التفرقة بينهما بغيرهما . فاذا قيل ما الفرق بين كون الباري حياً وكونه موجوداً لا يقال الا لان له حياة ووجوداً . وعلى سبيل التمثيل للتفهيم نقول ان الفرق بينهما كالفرق بين كون العقل المجرد عاقلا وبين كونه حياً فان معنى العاقل متولد من معنى العقل وان كان واحداً بالذات ومعنى كونه حياً متولد منه أيضاً . وأيضاً كالفرق بين كون الشمس منيرة حارة . وللحذاق المتفلسفين فى هذا الباب كلام دقيق لايفيد ذكره للجمهور ويوصل اليه بالقول أكثر من الخط . وقولهم وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء معناه ان روح الله أعد مريم للحمل من غير رجل فقام الروح في تتميم تولد المولود منها مقام الرجل فصوّر من المادة المريمية الناسوت المسيحي بالتدريج الطبيعي في النمو ولهذا كتب قديماً . الحكمة بنت لها بيتاً ففي لفظة البناية أشعار بالفاعل وهو اللاهوت وبالمادة وهي الطبيعة المريمية وبالمفعول وهو الناسوت المسيحي وبنموه قليلا بتكونه الطبيعي وفي قوله بنت لها اشعار بحلول اللاهوت في الناسوت حلول الاتحاد المخصوص . واستخراج

الروح الالهي الناسوت المسيحي من المادة المريمية على نحو ما تضمنته التوراة من اخراج الروح الالهي من المياه فاخرج منها من الحيوانات الاولى من غير حيوان واحد بمعنى أنه أودعها قوة طبيعية على اخراج ذلك لانه قال ان روح الله حلت على المياه ثم قال بعد ذلك لتخرج المياه الطيور والسمك فاخرجت . ولم يقل ان الروح القدس هو الابن الازلي ولا أنه متولد من الروح كما قال الخصم وقول الانجيل ان المسيح انطلق به الروح الى البرية معناه ان المسيح انطلق من ذاته الالهية وهذا كما يقال عن انسان انه قاده عقله الى السفر بمعنى انقاد بعقله وكما ان في الانسان قائداً ومنقاداً هكذا في المسيح . والنصارى لا يقولون علم الله له علم وقدرة . وقدرة الله لها علم وقدرة بل يقولون العالم له علم وقدرة والقادر له علم وقدرة هو ذلك العلم بعينه وتلك القدرة نفسها . والباقي ورد بما قبله وما بعده ونقول ان النصارى لا يحتجون بما قلت . والقائد الثالث لم يحرقه ايليا كما زعم وهذا يدل على انه جاهل بما في كتبنا وقد جاوبنا عن هذا متقدماً أما قوله فكيف فر عنهم الشيطان فتركهم وتمكن من ربهم فلم يقل الكتاب أنه تمكن من ربهم وانما قال أنه أمكنه من مجاهدته بناسوته ليفيد تابعيه بفعله كيفية جهاده ثم قال انه انتهره أخيراً فانصرف عنه وهو فر عن الانبياء تارة بارادة الله لتكميل تدبيره وأثار عليهم مرة أخرى من غلبهم وقتلهم بتخلية من الله لتكميل تدبيره أيضاً . وقد قلنا إن

المسيح قصد بما أظهره قبل صلبه من استصعاب الموت تحقيق تأنسه والا فهو قد علم المؤمنين ان لا يخافوا من قتلة الاجساد وقال أنه ليس لاحد سلطان على أن يأخذ نفسه منه وقد قلنا أن لفظة الموت مشتركة فيراد بها مفارقة الجسم وحياته بافتراقه من نفسه الحية بذاتها ويراد بها أيضاً مفارقة النفس لحياتها السعيدة بابتعادها من الحي بذاته بسبب الخطية التي هي عصيانها فقولنا ان المسيح أبطل الموت نريد به المعنى الثاني وهو معلول الخطية . والى هذه الحياة المقابلة لهذا الموت اشار المسيح بقوله . انه الخبز الحي ومن يأكل منه لا يموت بل يحيا الى الابد ومن لا يأكل منه فلا حياة له وعن مثل هذا قال الرسول . ان الشهوة تلد الخطية والخطية تلد الموت . وقولنا أبطل الخطية بمعنى شرع الطريق الموصلة الى أبطالها وقد ظهر هذا في أكثر النصارى بالنسبة لمن تقدمهم من الامم والوجود والكتب شاهدة بذلك كما بينا متقدماً . فمن لم يقبل شريعته لم تبطل عنه الخطية لانه قال . ومن لم يؤمن يدن وكذلك من قبلها ولم يعمل بها لانه قال من يسمع تعليمه ولا يعمل به يكون سقوطه عظيماً . ولهذا لسنا نقول ان العقاب بطل في الآخرة لا عن بعض المؤمنين ولا عن غير المؤمنين لانه قال . ان من لا يؤمن بالابن فغضب الله يثبت عليه . وأنه عند عودته يأمر بذبح الذين لم يريدوا أن يملك عليهم وقال عن المؤمنين الآثمة والذين لم

يعملوا البر (ابعدوا عني يافعلة الاثم فاني ما اعرفكم فامضوا الى النار المعدة لابليس وجنوده) .

أما القربان فبعضنا نتناوله بعد التوبة والاقرار بالذنوب والتأهل لمناولته حسب امكاننا رجاء في ان يكون لنا به المغفرة وان يقبل تضرعنا في استحقاقه لانه منح لنا به المغفرة . ولقول الرب سلوا تعطوا . وكلما تسألوا آمنوا انكم تنالونه. والمسيح لم يمنع من الحرب لدفع الضرر لا سيما الضرر العام بالدين فلهذا قال أنه أتى ليلقى في الارض ناراً وما يريد الا اضطرامها وليلقي في الارض سيفاً لا سلامة ويفرق بين الانسان واهله وتصير العداوة بينهم وهذا بالمفارقة في أول الدعوة وبحفظ الدين من المفسدين لاهله فيما بعد وانما منع بطرس لما قصد ان يحارب عنه ليعلم انه غير محتاج والمسالمة التي أمر بها انما امر بها بين المؤمنين ومحبة العدو مطلقاً ندب اليها من أراد الكمال الاعظم كالصدقة بجميع المال وترك الزيجة وكذلك ترك الثوب لمن أخذ الرداء وبذل الخد للاطم الخد الآخر . والانجيل ما فيه : ليس مني: وانما فيه لا يستحقني ومعنى هذا . من لا يتبعني في احتمال الآلام الى الصلب بسبب الواجب لا يستحق ان يكون لي تلميذاً. لان قوله . من لا يترك أباه وأمه لايستحقني. معناه. ان من لا يؤثر اتباعي على مفارقة أبيه وأمه في الذى لا يقدر ان يصير من المؤمنين

قوله فأين كانت هذه الرحمة عن الانبياء وتتمته . نقول انه

المسيحية ظهرت في الوقت الواجب في الحكمة الالهية والا فاين الجود الالهي اذ لم يوجد العالم قديماً قبل أن أوجده ، وكيف يخلص النبي مرة ويتركه يقتل أخرى ؟ فكل هذا بتدبير سري لا يظهر لبشري الا لمن يشاء المسيح ان يظهره له كما قال في انجيله عن مثله . وقوله ونزل الى شرذمة من اليهود نقول انه لم يظهر الا لخلاص الناس كلهم بافادتهم طريق الخلاص لانه ارسل رسله في العالم كله نعم دعا اولاً اليهود وارسل فيهم رسله ثم دعا جميع الناس برسله وهذا لانهم كانوا المدعوين بمبدأ التشريع وبيدهم كتب النبوات الدالة على دعوته . قوله ولم ما اهلكهم؟ نقول انه اتى ليخلص الخطاة ونجب لهم الحياة وليكن لهم افضل لا ليهلكهم وهذا نص قوله. وقد عرف تلاميذه انه الاله المتأنس تعليماً بتدريج حسب ما وجب في حكمته الالهية وكملهم في ذلك عندما احل عليهم روحه القدوس شبه ألسنة نارية والدليل على انه علمهم هذا شهادة الوجود بانهم قد علموا ذلك للناس الثابتين عليه الى الآن وشهادة كتبهم الثابتة بايديهم بها تصريح واستلزام

(الفصل الثاني عشر)

(في كونه لما سئل عن ادعائه الملك لم يقر ولم ينكر وما بعد ذلك)

قوله الذي آخره فما هذا باقرار منه ولا انكار . نقول اما اولاً فان ترك الانكار من المسؤول عن ادعائه ملكا مخصوصاً كالاقرار

به . لا سيما اذا كان المسؤول اهلاً لذلك وقد شنع به عنه وشهد به الرؤساء عليه لاسيما اذا كان السؤال عن ملك ذلك الملك المخصوص. وهكذا كان الامر ههنا فان بيلاطس متولى الملك قال له انت ملك اليهود وأن امتك وعظماء الكهنة اسلموك اليّ فاجابه انت قلت . واعظم من هذا ان رئيس الكهنة لما سأله قائلاً . أنت هو المسيح ابن المبارك؟ يعني ابن الاله قال له نعم فقال عظيم الكهنة قد جدّف فما حاجتنا الى شهود . وحكم بوجوب قتله ولو فهم عنه في ذلك الوقت انه انما ادعى البنوة الوضعية التفضيلية لما انكر ذلك عليه الاسرائيليون المدعوون ابناء الله ولما اوجبوا عليه الصلب وقتلوه لاجـل ذلك ويدل على انهم كانوا يدعون ابناء الله قول الله عنهم. ابني بكري. كما في التوارة وقولهم على ما في الانجيل. وانما لنا اب واحد هو الله. واما ثانياً فانه قال له الوالي انت هو ملك اليهود فلما لم يكن ملك اليهود وحدهم ولا ملكه ارضياً فقط مثل باقي ملوك الارض كما ظن المستخبر قال له. مملكتي ليست من هذا العالم. ولما ارادوا ان يخطفوه ويصيّروه ملكاً ارضياً منعهم عدم ظهوره لهم فلم يصح في جوابه الاقرار فقط لما قلناه ولا الانكار فقط لانه ملك اليهود وغيرهم ملكاً سمائياً . فلهذا اجابه بلفظ لا تصريح فيه باقرار ولا انكار فقال انت قلت . ومع هذا فلما قال له بيلاطس ايضاً . انت ملك اليهود قال انا لهذا ولدت وملكي ليس هو من هذا العالم اي انا الملك السماوى . وبعد قيامته قال. أُعطيت كل سلطان في السماء والارض. وها هو هنا يتكلم

من حيث هو انسان ويصح هذا كما يصح قول بعض الناس بعد القيامة . أُعطيت عدم الموت وعدم الحاجة الى الغذاء والتناسل فان الانسان يقول هذا من حيث له جسد لا من حيث له نفس فانه قد كان قبل القيامة عديم هذا الموت وهذا الاحتياج من حيث نفسه لا من حيث جسده. وقد مر الجواب عن استخبار الرسولين . قوله فما ادري ما دليلكم ؟. قلنا قد ذكرنا اداتنا في الاصول المتقدمة وفي اثناء الاجابة . قوله وما منعه ان يحيي نفسه ؟ قلنا وهو احيا نفسه لانه يصدق عليه انه محيي بلاهوته كما يصدق عليه انه محيى بناسوته ولهذا قال. حلوا هذا الهيكل وانا اقيمه في ثلاثة ايام وعني بالهيكل جسده كما قال الانجيل وقال ايضاً. لي سلطان ان اضع نفسي ولي سلطان ان آخذها وقال ايضاً بتكرار كثير انه يموت ويقوم في اليوم الثالث فاما في المواضع التي ورد فيها ان الله اقامه وأن الاب بعثه فمعنى هذا ان لاهوته اقام ناسوته لان لاهوت الاب والابن واحد وعملهما واحد كما قال . قوله فما منعه من نزوله من السماء ماشياً على الهواء ؟ نقول هذا قول من يظن ان نزوله الى الارض هو انتقاله بالحركة في المكان وحلوله في المكان الذي نزل اليه بعد خلو المكان الذي نزل منه ومن يظن بازيد من هذا وقد قلنا أن معنى نزوله من السماء الى الارض انما هو ان المختص عند الجمهور بالسماء لشرفه ظهر متأنساً في الأرض لجوده لا أنه بلاهوته مرسل من غيره ولهذا قال ومن أرسلني هو معي ولما كان الجمهور لا يعرفون

حالاً أرفع من الاحوال الانسانية خُوطبوا بكما يعرفون لاسيما
والمخاطبون أعني الاسرائيليين قد ذُكر لهم النزول عن الاله في
التوراة كقوله في قضية سدوم . لا أخفي عن عبدي ابرهيم
ما أنا صانعه أن ضجيج أهل سدوم ارتفع اليّ وقد نزلت لانظر .
قوله أن المسيح قال . ان يكن فيكم من الايمان وتتمته الى قوله
ولم نر نصرانياً قط أطاعته شجرة ولا مدرة وتتمته . نقول أما أولاً
فان المسيح قال هذا القول الاول للتلاميذ على ما سنبين وقد
قدم بيان أن التلاميذ لو لم يعملوا الآيات الباهرات لما أمكن
ان يجتذبوا الناس الى قبول ما ينافر بظاهره العقل الانساني
وبساطته الطباع البشرية كما تبين . وأما باقي الاقوال الواردة
في أن المؤمنين يفعلون الآيات فقيلت عن المؤمنين الذين كانوا
في أوائل الدعوة لما كانت الآيات محتاجاً الى مشاهدتها وقد
ذُكر في كتاب الابركسيس وغيره من تلك العظائم . أن بطرس
كبير الرسل أورد النبوة القائلة (أن في تلك الأيام قال الله أفيض
من روحي على عبيدي وأمائي فيتنبأون وتتمتها . ولما انتشرت
الدعوة في أصناف من الناس لا يصح على مثلهم التواطؤ للتباين
بالمكان والتباين باللسان قام تواتر الاخبار بها عند السامعين مقام
مشاهدتها عند الناظرين فارتفع أكثرها وبقي بعضها لان الآيات
أنما كانت لغير المؤمنين حتى آمنوا كما قال الرسول وأما المؤمنون
فيكفيهم التصديق بما كان منها بالتواتر الصحيح الثابت عندهم

وقد تضمن الانجيل أن ابرهيم قال لذلك الغني. ان موسى والانبياء
عندهم يعنى كتبهم وتواتر كتبهم وأخبارهم والا فموسى والانبياء
ما اجتمعوا في هذا العالم وانما اجتمع فيه كتبهم وأخبارهم وقال. فان
لم تسمعوا منهم ولو قام واحد من الاموات لا تسمعون منه أي من لا
يصدق السماع الصادق لايصدق النظر . وأما ثانياً فانه لايلزم الخصم
من كونه يدعى أنه لم ير للنصارى آية بالتسليم أنه لم ير ذلك
وليس هو فقط بل وأهل بلده أن لا يكون عندهم تواتر الاخبار به
ولو سلمنا أيضاً أنه لم يحصل عندهم التواتر بذلك لم يلزم ان لا تكون
الآيات مستمرة في بعض النصارى الذين لم يروهم ولو بتواتر الاخبار
بها عندهم لبعد ديارهم فان المسيح قال أن الآيات تتبع المؤمنين
باسمى وما قال كل المؤمنين وأيضاً ولا في زمان وجود
الانبياء والرسل وظهور المسيح كان كل انسان يعمل الآيات
أو يشاهدها أو يسمع بها ولو كانت في كل الناس أو أكثرهم لما
عرف النبي من غيره ولو فعلها النبي كثيراً مستمراً لما كانت
آيات لان الآية هي وقوع الفعل على غير مقتضى الطبع والعادة
ولذلك قال الرب . برص كثيرون كانوا على عهد اليشع ولم يطهر
منهم الا نعمان الشامي وأرامل كثيرات كن في صارفية صيدا
وتتمته . فالآيات اذن انما تكون نادرة من نادر في نادر فاذا
وجدت في بعض المؤمنين صح القول الانجيلي وقد ثبت عند
المؤمنين . البعض بالمشاهدة والآخر بالتواتر عن الصادقين عندهم

وجود الآيات في بعض الاماكن المقدسة ومن بعض المؤمنين في زمان بعد زمان فلا شك فيظهور النور في كلسنة في البيت المقدس في عيد النصارى الكبير وهو الموضع الذي تجتمع فيه أصناف النصارى واليهود والمسلمين ولا شك فى وجود الاشفية لكثير من المرضى في بعض الكنائس المسماة بالشهيد مار جرجس بمصر . ودير برصوما في الشرق . يشهد بذلك الذين شفيوا ومن شاهدهم وتواتر أخبارهم وهذا في بلاد غير النصارى فكيف بلادهم حيث الفضلاء والزهاد والعباد وقيام الشريعة على واجبها .

وأما ثالثًا فان لفظة الايمان وردت في الانجيل مشتركة بين ثلاثةمعان احدها الايمان بمعنى الاعتقاد في ذات الله وصفاته وثانيه التصديق بشريعته وهذا كقوله تلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن. وقوله للمولود اعمى انت تؤمن بابن الله. وقوله لتوما. لما عاينت آمنت طوبى لمن لم يرني ويؤمن بي . وثانيها الايمان بمعنى تيقن حصول المطلوب وهذا قد يوجد لغير المؤمنين بالمعنى الاول كقائد المائة والكنعانية . فان الرب قال عنه . لم اجد مثل هذا الايمان في اسرائيل وقال للثانية عظيم هو ايمانك مع أنهما لم يكونا من اهل الشريعة الاولى ومثل قول الرب لكثير من المضرورين كايمانك يكون لك فيرأ وكقول الرب للاعمين . أتؤمنان اني أقدر أن أعمل هذا .وقد لايوجد للمؤمنين بالمعنى الاول كقول

الرب للذي قال له انه قدم ولده لتلاميذه ولم يقدروا أن يبرأوه ايها الجيل غير المؤمن . وقوله لتلاميذه لو كان لكم ايمان مثل خردلة وتتمته مع أن تلاميذه كانوا من أهل الشريعتين . فقد بان امتناع الآيات على غير المؤمنين لهذا المعنى الثاني من الايمان مع انه لا يدل على أنهم غير مؤمنين بالمعنى الأول من الايمان وثالثها الايمان المقابل للخيانة فالامين هو من يحفظ ما أؤتمن عليه ويعمل فيه بمراد ما ائتمنه وعنه قال الرب . من هو الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على بيته وتتمته وقال. وُجدت أمينًا فى القليل أنا اقيمك على الكثير . فمن لم يميز اللفظ المشترك الوارد في الكتب الالهية ضل وظن ان غيره قد ضل . قوله كيف يغلب الموت من قتله الموت . نقول قد بينا أن المسيح لتكميل تدبيره مات بارادته وبجسده لا مقهوراً من غيره ولم يمت بلاهوته وشهد الكتاب الثابت صدقه أنه قام وعرّفنا الرسول انه قام القيامة العامة التي لا يعقبها موت فانه قال أنه بكر قام من الاموات . فقولنا أنه غلب الموت بمعنى أن الموت لم يقهره فلم يلبث ميتًا الى يوم القيامة العامة كباقى الناس .

أما قوله . أنكم كنتم تقولون يا ربنا يسوع المسيح اغفر لنا فصرتم تقولون يا ربنا يسوع المسيح قد غفرت لنا فتبعتم من أضلكم حديثًا وتركتم ما كان عليه أسلافكم . فنحن نقول الامرين مفردين ومجتمعين فنقول نشكرك يا ربنا يسوع المسيح

لانك غفرت لنا ونسألك أن تغفر لنا فالشكر عما قد غفر والتضرع عما لم يغفر بعد وهذا هو الذي كان عليه اسلافنا وهو موجود كثير في كتبهم وهو موجود في انجيلنا وهو الذي أخذناه عن رسل ربنا اما الشكر فلقول الرسول . وكونوا تشكرون المسيح لتحل كلمته فيكم ويغنيكم بكل حكمة . وأما السؤال فلقول الرب في الانجيل . وكل شيء تسألون باسمي اعطيه لكم وقوله وان سألتموني باسمي افعل لكم ما تريدونه وحيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فانا أكون في وسطهم . وقال رسوله بولس . وكما غفر لكم المسيح كذلك فاغفروا أنتم أيضاً . والمسيح اظهر غفرانه للخطايا بقول الانجيل . فلما قالوا من يقدر أن يغفر الخطايا الا الله استدل بفعله على صدق قوله وبطرس واللص والاعميان والكنعانية طلبوا منه النجاة والملكوت ورحمة الشفاء فاجابهم الى مطلوبهم فلو لم يرد أن يطلب منه لانكر ذلك

قوله لا أدري بمن اقتديتم في الطلب من المسيح. قلنا بالمسيح ورسله لان المسيح قال في الانجيل ما تقدم ذكره ولان رسله المؤيدين عملوا ذلك وعلّموه لنا على ما شهدت به كتبهم وقد أوردنا بعضه . قوله وهل كان يدعو باسم المسيح ابرهيم والانبياء نقول اما بالايمان فنعم لان المسيح قال أبوكم ابرهيم اشتهى ان يرى يومي فرأى وفرح وبولس رسوله قال ان الآباء والانبياء بالايمان رأوا هذه الامور وفرحوا بها من بعد يعني

الامور المسيحية واما بالعيان فلا لانه لم يتأنس في زمانهم فلم يظهر لعيونهم ولما كان هذا الاسم الذي هو يسوع المسيح لم يظهر لهم الا بعد ظهوره متأنساً لم يدعه به من تقدم زمانه زمان تأنسه وهذا كمن كان يدعو الباري بخالق الملائكة ولا يدعوه بخالق البشر قبل أن يخلق البشر قوله ومن بئس قيادكم انكم تنقادون الى كل مقدم ابتدع لكم بدعة ضلالة او سنة مخالفة فتقبلونها نقول ليس كذلك فان الرب قال احذروا الانبياء الكذبة وبولس قال ان بشرتكم انا أو ملاك من السماء بغير ما بشرتكم به فليكن محروماً وقال أيضاً وان كان أحد يعلّم تعليماً آخر ولا يدنو من الكلام الصحيح الذي هو كلام ربنا يسوع المسيح ومن تعليم تقوى الله فان هذا مستكبر من غير أن يكون يعرف شيئاً . وقد بينا في مجموع القوانين ما للرؤساء ان يزيدوا فيه وينقصوا منه وما ليس لهم . فنصوص الكتب المقبوله المعينة في القوانين بالاسماء والعدة ليس لاحد ان يزيد ولا ينقص في شيء لا في اللفظ ولا في المعنى والتأويلات التي وقع الاجماع على قبولها ليس لاحد ان يخالف في معانيها وما خرج عن ذلك من تأويل أو سنة فليس لاحد أن يحدد فيه ما يخالف نصاً أو تأويلا مجمعاً على قبوله او عادة فاضلة مؤكدة وما تجدد بعد ذلك انما يكون بفائدة ظاهرة ومجمع من علماء وقديسين . قوله مثل الذي أحدث صوم نينوى وصوم العذارى واستقبال الاعياد بالصوم . قلنا الصوم تطوعاً

ملائم للشريعة التي ندبت الى التطوع ما أمكن لا سيما ولهذه
الاصوام المعينة فوائد ترجح منها التشبه بمن صامها فنجا فان اهل
نينوى أُنذروا بخسفها عن لسان يونان فتابوا وصاموا هذه الايام
الثلثة فنجوا ومنها تعظيم العيد باستقباله بالصوم وبما يحصل من
الراحة والفرح للاكثرين فيه بالخروج من الصوم الى الافطار
كصوم الفصح والميلاد ومنها الاستشفاع بالذي نعيد له لقربه
من الله سبحانه كصوم العذارى الذي آخره عيد السيدة للاستشفاع
بها عند الله في قبوله وقبول الصلوات فيه ومثل صوم التلاميذ
الذي آخره عيد بطرس أول التلاميذ . قوله مثل ما سنه مطران
سمرقند الذي حرّم أكل لحوم الحمام وتأول فيها ان الروح القدس
نزل في هيئة حمامة . نقول مثل هذا غير مقبول لان الحمام لم يحرم
في الشريعة ولا فائدة في تحريمه والاجماع يخالفه وربما هذه دعوى
غير ثابتة فقد وصلت الينا قوانين العراقيين جمع ابن الطيب وايليا
مطران نصيبين وتيموثاوس الجاثليق ومصنفاتهم وليس هذا
فيها . وما أورده الخصم من كفر بولس بالمسيح ومضادته له
بعد ايمانه به وارسال المسيح له ظاهر البطلان مما قاله في كتاب
رسائله وقيل عنه في كتاب قصص الرسل فمن لا يصده عن حب
المسيح القتل كما قال وفعل ومن احتمل اصناف الآلام حتى اجتذب
أهل بلاد كثيرة الى طاعة شريعته والايمان بالهيته فليس بكافر
ولا ضداً له . وقوله أنه في رسائله لعن المسيح صراحاً قول باطل

والذي ورد في هذا المعنى في رسالته الى غلاطية قوله انا نحن فقد
اشترانا المسيح من لعنة الناموس واحتمل اللعنة عنا لانه مكتوب
ملعون كل من عُلّق على خشبة يعني أن التوراة انما توجب موت
الصلب على الخاطيء ولهذا قالت جماعة اليهود والروساء وغيرهم
لبيلاطس عن المسيح لما ادعى الالهية نحن لنا ناموس وعلى ما في
ناموسنا هو مستوجب الموت اصلبه اصلبه . والمسيح لم يوجد فيه
خطية كما كتب عنه في النبوة والانجيل والرسائل فالنبوة عليه
تقول. أنه ليس فيه غش وأنه مثل خروف بلا عيب وفي الانجيل
انه قال لليهود. من منكم موبخني على خطية وان الشيطان ليس له فيّ
شيء . وفي رسالة يوحنا وقد علمتم ان ذلك الذي ظهر ليحمل
خطايانا لم يكن فيه خطية وبولس كتب فى رسائله مشيراً الى
المسيح أنه أشبهنا في كل شيء خلا الخطية وأنه مجرب في كل
شيء مثلنا خلا الخطية وأنه أخذ شبه جسد الخطية واذا كان قبل
الصلب عن الخطاة لا عن خطئه صح قول الرسول أنه احتمل
اللعنة عنهم لان الخاطيء هو المستوجب للعنة والصلب . قوله فان
وجدتم فى كتاب قول بولس ان كل مصلوب ملعون فقد خرج من
التهمة ولم أخرج أنا . قلنا هو موجود فى السفر الخامس من التوراة
ولو لم يكن موجوداً في كتب اليهود فكيف كان يستجريء به عليهم
قوله ان مجمع نيقيا تفرّقوا وكفّر بعضهم بعضاً وتلاعنوا
واستشهد على هذا بافتراق الملكية والنسطورية واليعقوبية تقول

هذا ظاهر البطلان لان هذه الفرق افترقت بعد مجمع نيقيا بزمان لم يبق فيه أحد من مجمع نيقيا ولم يختلفوا في نص الامانة التي جمعها ولخصها المجمع المذكور من الانجيل ورسائل بولس . وهذا من المشهور عند الجمهور وهو أيضاً مما يوقع التهمة فيما ادعاه من أنه كان نصرانياً وليس النصرانى ولا اليهودي ولا المسلم يوجب ان افتراق أهل كتاب في تأويله دليل على بطلان ذلك الكتاب. اما ما أورد الخصم من بشارة يوحنا من مساواة تلاميذ المسيح به في الرسالة والاتحاد فقد قلنا ان الالفاظ المشتركة انما تُميّز بقرائنها اللفظية والمعنوية. والرسل قد دعوا الناس الى خلاف ما قال وهم لما نظروا آياتهم وقالوا عنهم ان الالهة نزلوا الى الارض شقوا ثيابهم وقالوا نحن بشر مألومون مثلكم وكذلك قالوا لما انهضوا المقعد ونسبوا الفضل الى المسيح لما جعل الناس يتأملونهم. واما هو فدعا الناس بذاته وبهم الى الايمان بابهته وقد تقدم بيانه . وأما تأويل الخصم فنحن لم نأمن بهذه النصوص على هذه التأويلات .

قوله والا فلا معنى لقوله ما صعد الى السماء الا الذى نزل من السماء . نقول قد بينا أن المسيح تصدق عليه الاوصاف الالهية والانسانية فيصدق عليه بلاهوته أنه نزل من السماء وأنه لم يزل في السماء وقد تقدم معنى نزوله وورد ذكر النزول عن الاله في التوراة قبل التأنس ويصدق عليه بناسوته انه ابن البشر وانه صعد الى السماء فانه قال ما صعد أحد الى السماء بالانسانية

الا الذي نزل من السماء بالالهية. المسيح الذي لم يزل في السماء بالالهية لان المسيح وابن البشر اسمان مترادفان لمسمى واحد اى الذى نزل من السماء بلاهوته الذى صعد اليها بناسوته ولم يزل فيها بلاهوته فهذا معنى قوله بحسب اصولنا وقول آخر ان الصاعد بذاته هو النازل بذاته وهو اللاهوت فاما الناسوت فصعود به . وأما اعترافه بصعود اخنوخ وايليا فانما صعدهما الى الفردوس فان بولس قد دعاه السماء الثالثة (اوالى مكان آخر أرضي) وحيث صعد المسيح بناسوته لم يصعد احد ولما اراد الرسول ان يصف هذا قال انه علا عن الملائكة ورؤساء الملائكة وجلس عن يمين الله اى فى المحل الذى هو الغاية القصوى من السمو والكرامة ولكون اخنوخ وايليا لم يتبدل جسداهما من عدم الفساد والموت الى مجد الاجسام في القيامة العامة الملائم للملكوت في السماء قلنا ان السما التي صعدا اليها هي الفردوس لا السما الفلكية لان الرسول قال ان اللحم والدم لا يرثان ملكوت السموات

قوله ولو كان نزل من السماء متجسماً لم يتجسم من مريم . قلنا لسنا نقول بانه نزل من السماء متجسماً وانما نقول أنه صعد الى السما متجسماً وقد قلنا ان ابرهيم والانبياء رأوه بالايمان لا بالعيان كما قال بولس . قوله ان المسيح اخرج القول مخرج الاستفهام لا الاخبار فقال أمن قبل ابرهيم كنت انا؛ نقول ان لفظ الاستفهام في غير اللغة العربية لا يشبه بلفظ الاخبار والانجيل اصل كتابته بالعبراني واليوناني وأيضاً فلو كان انما استفهم منهم لما قالوا له لم

يأت لك بعد خمسون سنة وقد رأيت ابرهيم وتناولوا حجارة ليرجموه فلم ينكر قصد الاخبار ويعترف بقصد الاستفهام بل مضى عنهم وضبطهم بقوة لاهوته عن ادراكه وأيضاً فالرسل ما خاطبوا المؤمنين بهذا القول الا بمعنى الاخبار لان الناس مع اختلاف لغاتهم وأقاليمهم لم يختلفوا في هذا المعنى . قوله او يكون التشابه في السرياني قلنا انجيل يوحنا كتب في اليوناني وأُخرج الى كل لغة والكل متفقون في ما قلناه نحن لا هو . قوله ان متى قال انه ابن داود بن ابرهيم وابن ابرهيم لا يكون قبله . قلنا هو ابنه بناسوته وقبله بلاهوته وهذا كما أشار في نسبته الى داود من انه ابنه بناسوته وربه بلاهوته . وكما قال المعمد عنه انه يأتي بعدي بناسوته وهو كان قبلي يعني بلاهوته . وبغير هذا التأويل لاتصدق هذه الاقاويل وما قبلها المؤمنون من الرسل الا بهذا المعنى . قوله انا تمسكنا بعشرة مواضيع مشتبهة في الانجيل والرسائل وهي تكذب عشرين الف موضع . قلنا لو كانت متكاذبة عندنا لحملنا الاقل على الاكثر ولو كذبنا الكثير لابطلناه ولم نعتقده ثم نقول ان المواضع الدالة على الهية المسيح في الانجيل كثيرة جداً وقد أثبته منها في اجابة الناشي لما أنكر وجودها في الانجيل بمواضع كثيرة . ثم نقول ان الموجب لورود الاقوال المسيحية الدالة على انسانيته أكثر من الاقوال الدالة على الهيته هو ان المخاطبين بها قبل ايمانهم كانوا ينفرون من الاقوال الدالة على الهيته وهم يرونه

انساناً فكان يؤنسهم بما يسكنون اليه ولا ينفرون منه الى ان يتحققوا من أعماله وأقواله بذاته ورسله ان له الانسانية والالهية معاً ولذلك لما قالت الشياطين التي أخرجها قد عرفنا من انت منعها أن تنطق بذلك ولما حقق عند تلاميذه الهيته قال لهم وقت تجليه لا تخبروا بهذا أحداً الى أن يقوم ابن الانسان

قوله ان قول الانجيل ان الكلمة صار لحماً اما أن يكون الكاتب ترك منه غلطاً حرف ما أو من أو في حتى يكون التقدير الكلمة ما صار لحماً أو صار من الكلمة لحماً او الكلمة حل في اللحم . نقول أن الانجيل ما كتب الا بعد المفاوضة بما فيه مشافهة لقول لوقا رأيت أنا أيضاً أن أكتب اليك أيها العزيز تاوفيلا لتعرف حقائق الكلام الذي وعظت به . وان حوّرنا ألفاظاً في الكتاب والخطاب معاً لم نتيقن قولاً . قوله والا فكلام الذي هو ابن الله لم يستحل لحماً. قلنا لسنا مضطرين الى القول بالاستحالة لانا قلنا أن لفظة صار تدل على معنيين احدهما مثل قولنا صار الغذاء لحماً ودماً فهنا استحال الاول للثاني والآخر مثل قولنا صار الكاتب طبيباً أو صار الاله خالقاً بالفعل وهنا الذات باقية لم تستحل وقد تجددت لها حال كانت لها بالقوة فصارت لها بالفعل وهذا هو الذي نريده وهو ان الاله الكلمة صارت له حال لم تكن وهي اتصاله بانسان لحي كاتصال النفس بالجسد وذاته باقية غير مستحيلة

(الفصل الثالث عشر)

(في جواب ما ادعاه من التناقض في الاناجيل الاربعة)

قوله ان يوحنا ذكر آيات لم يذكرها غيره من الثلثة الانجيليين وأيضاً أخبر بما قاله المعمد على غير ما أخبر به متى ولوقا ولم يذكره مرقس رأساً واذ قد انفرد كل واحد بشيء فلعله غلط فيه أو لم يصدق فيه نقول . فطالب نفسك بهذا الحكم فانك تنتقل حينئذ عن تكليف الشرائع ثم نقول ان اخبار الواحد بما لم يخبر به الآخر أو زيادة على ما أخبر به الآخر لا يلزم منه مناقضة اذ ليس فيه اثبات الواحد عين ما نفاه الآخر وكل واحد منهم بمفرده ما قبل قوله الا بعد التصديق برسالته أنها عن الله بآيات الله كما سبق بيانه ومن هذا شأنه لا يغلط ولا يكذب وكل واحد منهم هداه الروح القدس الى ما قاله وكتبه لان الرب قال لهم والروح يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ماقلته لكم ثم نقول أنهم اجمعوا على ذكر الاقوال الضرورية في الاعتقاد والعمل وانفرد بعضهم بذكر بعض اشخاص النوع في اثبات وجوده فكما ثبت وجود نوع الانسان بوجود بطرس ويعقوب ويوحنا كذلك ثبت وجوده بوجود بطرس ويعقوب من دون يوحنا وبوجود متى ومرقس من دون المذكورين . فالكل شهدوا للمسيح بالآيات والاقوال والاعمال الدالة على الهيته وانسانيته بتفصيل واجمال الا ان بعضهم لم يذكر بعض ما ذكره

الآخر في الغرض الواحد استغناء بما ذكره هو اثبات ذلك الغرض الواحد ولاجل هذا قال يوحنا في انجيله . ان الرب فعل آيات أخر كثيرة . وقال متى . وقدموا اليه كل من به اصناف الامراض والاوجاع المختلفة والمعذبين والذين بهم الشياطين والمعترين فى رؤوس الاهلة والمخلعين فابراهم . وقال لوقا . ولما علم الجمع تبعوه فقبلهم وتكلم من أجل ملكوت الله والذين كانوا محتاجين ليبرأوا كان يشفيهم . وقال مرقس . واحضروا اليه جميع من بهم سقم وجنون وأهل المدينة فابرأ كثيرين.فبعض الآيات ذكروها مفصلة والباقي ذكروه مجملاً وكذلك عملوا في التعاليم وبتدبير الهي كتبت الاناجيل بلغات مختلفة في اقاليم مختلفة ولم تتفق في جميع الفاظها ليكون ذلك أكثر دفعاً لتوهم الاتفاق والتواطؤ على كتابتها فان الشهادات اذا اتحدت في المعنى وتغايرت في العبارة حصل الامن فيها من الجانبين اعني المنافاة والمواطأة وقد قيل أن سبب اختصاص بشارة يوحنا من الاقوال والاعمال بما لم يذكر في البشائر الاخرى انه وقف على البشائر قبل ان كتبها فاثبت مقصود البشارة بادلة أخرى واكتفى في بعض الامور بما ذكروه

قوله أن المسيح ما أتى بعد المعمد فقوله . ان الذي يأتي اقوى مني . عني به غير المسيح . قلنا أتى بعده بالمولد الجسداني وفي التعميد كما شهد لوقا ويوحنا . ومما يبطل ما ادعاه الخصم في هذا

الموضع ان المعمد أشار الى المسيح وقال. هذا الذي قلت لكم
أنه يأتي بعدي وكان قبلي لانه أقدم مني . قوله ان متى قال . ان
المسيح قام من بين الاموات مساء يوم السبت الذي في صبيحة
يوم الاحد وقال أصحابه قام يوم الاحد وهذا غلط واختلاف
نقول بداهة ان متى ما كان ممن يقول انه قام مساء صباحاً لان
هذا ظاهر البطلان للصبيان . وأما قوله مساء السبت الذي في
صبيحة الاحد اراد به ليلة السبت التي في آخرها صبيحة الاحد
وفي الاخراج من اليوناني يدل مساء آخر السبوت على ما ورد
في تفسير فم الذهب . فالسبوت لها آخر وليس لها مساء فيصح
أنه قام في صبيحة الاحد . ولم يشهد أحد من الاربعة بوقت قيامة
المسيح شهادة مطلقة غير مرقس الذي كتب بشارته عن بطرس
أول الرسل فانه قال . وقام باكر أحد السبوت يعني بكرة الاحد
لان ذلك الاسبوع يدعى بالسبوت لانه أسبوع العيد وأما الثلاثة
فاخبروا أن النساء والتلاميذ مضوا الى القبر في أوقات مختلفة بعد
انقضاء ليلة السبت التي بعد نهاره فوجدوه قد قام لانهم لم يجدوه
في القبر وأخبرتهم الملائكة بانه قد قام ولا اختلاف في وقت
القيامة فانها كانت في مبدأ نهار الاحد كما أخبر مرقس الذي كتب
عن بطرس وانما الاختلاف في الاوقات التي تردد التلاميذ فيها
والنساء الى القبر ولم يجدوه فيه

قوله ان المسيح لم يقم في الارض ثلاثة أيام كما قال نقول أن

النص الوارد في هذا المطلوب قد تكرر من قول المسيح واكثره
فيه أنه يموت ويقوم في اليوم الثالث فلو أراد استكمال اثنين
وسبعين ساعة لقال ويقوم في اليوم الرابع . ثم نقول ان الخصم
قد سبق من قوله ان اللفظ قد يطلق على الكل ويراد به البعض
واستشهد على ذلك بمواضع كثيرة من كتبنا وهذا صحيح في
الشخص والمكان والزمان فيصح أن يقول الانسان رأيت فلاناً في
مصر في السنة الماضية ويكون انما رأى وجهه في موضع صغير من
مصر في بعض ساعة من السنة المذكورة وكما قال أنه يكون في
الارض وأراد جزءاً من الارض لا تظهر نسبة صغيرة الى عظمها
هكذا أراد باليوم جزءه فباواخر يوم الجمعة حسب يوم الجمعة ويوم
السبت بكماله وأول يوم الاحد حسب يوم الاحد والعرف العامي
يساعد على مثل هذا فان الناس يقولون في يوم الاحد عمن مات
وقبر في أواخر يوم الجمعة أنه يوم ثالث فلان . وقد شهد الانجيل
بهذا فان اللذين رأيا المسيح في يوم الاحد ولم يعرفاه قالا له لكن
هذا اليوم الثالث مذ كان هذا وتتمته . ولما لم يشهد كتاب لنا
بان يونان استكمل في بطن الحوت ٧٢ ساعة وقذف في رابع
يوم وشهد لنا كتاب ثبت صدقه ان الممثل يونان قام في اليوم
الثالث علمنا ان هكذا جرى بيونان . وفي اخراج هذا اللفظ
هكذا مشتبه سر تدبيري قد ذكره فم الذهب في تفسيره

قوله ان متى أخبر أن اللصين تهزآ بالمسيح وان لوقا اخبر

بأن احدهما انتهر الآخر قلنا أن احدهما استمر مستهزئاً والآخر رجع عن سوء رأيه . وانتهر رفيقه .قوله وذكر يوحنا أنهما ما كلماه قلنا ليس كذلك لكنه ما ذكر أنهما ما كلماه . وفرق عند من لم يعم عقله هواه وجهله بين كونه لم يذكر نفياً ولا اثباتاً وبين كونه ذكر النفي . قوله ولم يذكر مرقس شيئاً قلنا ليس كونه لم يذكر الخبر مناقضاً لما ذكره غيره فيه .وما أورده في نسبة يوسف الى ابويه الطبيعي والناموسي وفي باقي النسبة قد ورد في التفاسير المطولة وكتاب حل الشكوك الجواب عنه وعن كل هذه الفصول بعبارات واسعة . وليت لو كان الخصم وقف على التفاسير المختارة لعله كان قد استراح واسترحنا وما ذكره عن احتجاج المفشقان (المترجم) في النسخة يغلط كاتب الانجيل فيها لسنا نوافقه عليه. فقد قال القديسون العلماء أن المقصود بذكر النسبة ما كان عند الاباء بل غير ذلك ولهذا أجمل متى الجملة في ثلاث رتب ليبيّن ان اليهود دبروا باصناف مختلفة من التدبير في ثلاثة أزمنة بالقضاة ثم بالملوك ثم بالكهنة حتى لا يستغربوا ان تدبروا تدبيراً آخر برسل المسيح في زمان آخر ولم ينظر في عدد الاشخاص وانما كان قصده في النسبة ان يبيّن للعبرانيين ان هذا المسيح هو الموعود به من نسل داود وابرهيم وهي كافية في ذلك ترك ذكر بعض الاباء او لم يتركه. ومعلوم انه يصح ان يقال عن والد والد الولد انه والده فاذا قال ان فلاناً ولد فلاناً وهو والد والد ولده صح أن هذا ولده

ويدل على ان مقصود متى كان تبيين كون المسيح من نسل داود وابرهيم كونه استفتح بقوله. كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابرهيم . وبين هذا وبين داود آباء كثيرون وبين المسيح واحدهما أيضاً وقد ذكرهما بالتفصيل . فاما لوقا فقال. كان يظن انه ابن فلان فاورد ما كان بعض الناس يظنه ولم يورده عن المسيح ولا عن نفسه ولا عن رسله كما استفتح بشارته بقوله . كما عهد الينا اولئك الصفوة. بل كما اورد في الانجيل اقوال اليهود والشيطان والامم والجن ولم يلتفت الى تحقيق ما لعله لا يتحقق له من غير الروح القدس الذى لا غاية له الا بما هو ضروري في غرض البشارة. وانما وجب للوقا ذكر نسبة المسيح طلبها او الشوق الى معرفتها ممن كتب لهم لانهم في ذلك الزمان كانوا يؤثرون معرفة الانساب وليس كل ما يؤثر من كل احد ضروري اوان لوقا قصد تحقيق تجسده بتحقيق مولده الجسداني والذي اورده كافياً في هذا ذكر كل الاباء او اهمل بعضهم وبالجملة فلابد ان تقصر الاذهان البشرية عن معرفة بعض الاغراض الالهية. وبعد ان ثبت انتساب هذا الانجيل الى الحكيم تعالى ورسله المؤيدين فكل ما فيه من اقوالهم واعمالهم حق وحكمة عرفنا وجه الحكمة في شيء منه او لم نعرفه في بعض الاشياء الواردة فيه

قوله ومن الاختلاف ان المزمور العبراني قال . ان الله قام في مجمع الالهة. وفي السرياني مجمع الملائكة . نقول ان لفظة الوهيم في

العبراني تدل على الشريف المعظم والالهة والملائكة عند الناس كذلك . قوله ان داود قال . الانسان الذي امرته وبولس لما استشهد بهذا قال الانسان الذي دبرته قلنا هذا كتشبث الغريق بالسمك . وما اورده عن غريغوريوس وغيره من المقابلات انما أخذ من اقوال المسيح ورسله الواردة في كتبهم فقولهم الذي لايحس صار محسوساً الذي هو بلاهوته لا يحس صار بناسوته محسوساً وكذلك قولهم ان المصلوب هو الخالق وما جرى هذا المجرى وهم يشيرون الى الواحد بالموضوع اي المسيح الواحد الذي يصح وصفه بانه المصلوب وبانه الخالق وهذا كقولهم الابيض هو الحلواي ذات السكر المتصفة بالبياض هي المتصفة بالحلاوة

اما قول الله في التوراة ان اولاد ابرهيم يستعبدون بارض مصر اربع مائة سنة فمبدأ المدة من الوقت الذي انبأه فيه . اما قوله ان ابيمالك هو الكاهن الذي دفع لداود خبز التقدمة كما في اسفار الملوك لا ابيثار ولده كما قال المسيح فجوابه ان ابيمالك كان عظيم الاحبار وهو اطلق لولده الكاهن ان يدفع لداود الخبز وقيل انهما كانا معاً في رياسة الكهنوت كما كان ابيا وزكريا وناداب وابيهو .اما ما ورد في الابركسيس من الذين كانوا مع بولس. رأوا ولم يسمعوا وسمعوا ولم يروا . فبيانه انهم رأوا النور ولم يسمعوا كلام المخاطب لبولس وسمعوا كلام بولس ولم يروا المخاطب له وبعبارة اخرى رأوا النور ولم يروا المخاطب لبولس وسمعوا كلام

بولس ولم يسمعوا كلام المخاطب له . اما ما أورده بعد هذا من الانجيل وكثير مما يورده مما يزيد فيه الواحد في الاخبار عن الآخر او يذكره الواحد ولا يذكره الآخر ويقول انه متناقض فقداوردنا شروط التناقض وبينا بطلان هذا الظن

قوله لم يكن مولده سروراً عاماً لليهود وللامم قلنا الوجود شاهد بانه لم يبق في العالم قطر ولاصنف من الناس حتى عمت المسيحية كثيراً منهم وايضاً فكما قال الملائكة (وعلى الارض السلام) قالوا (والمسرة في الناس) وكما صح وجود السلام في الارض بوجوده في بعضها كذلك يصح وجود المسرة في الناس بوجودها في بعضهم لا سيما اكثرهم. قوله ولم يكن مخلصاً لليهود وقد قيل ولد لكم اليوم مخلص. قلنا قد امن اكثرهم وخلص لان الرب قال من امن خلص وقد شهد كتاب الابركسيس بايمان اكثرهم لما قال الرسل اما ترى يا اخانا بولس كم ربوة امنت من اليهود . فاما قوله . صلب المسيح ان كان بارادة الله والمسيح موجباً لخلاص العالم من الخطية والموت فللشيطان واليهود حظ في هذه المكرمة وان كان المسيح في ذلك مكرهاً مجبوراً فهو مذموم لا محمود . فنعارضه اولاً قائلين قتل الانبياء وتعذيبهم ان كان بارادة الله تعالى فللشيطان ولقاتليهم حظ في تكميل ارادة الله وان كان بغير ارادة الله وانبيائه فلاحمد وهذا الاعتراض على القدرية اشد مما هو على العدلية . ثم نقول ان كان ذلك بارادة المسيح بايثار من تولاه لا على انه اخبرهم على ايثار ذلك ولا على انهم قصدوا تكميل مراد الله وخلاص

الناس . فاستعمل الحكيم القادر ارادتهم وعزمهم في تكميل تدبيره فهم مستحقون جزاء ايثارهم للقتل ظلماً واجتهادهم في تكميله . كما ان الذين نصبوا نفوسهم لتعذيب الناس وخدموا الملوك كونهم مصرين على العزم عليه فهم معروفون بالاشرار مذمومون لامعروفون بالاخيار ممدوحون مع انهم قد يكملون ارادة الله باخذ الحق الشرعي من الزناة واصحاب الجنايات وما ذلك الا لانهم تأهلوا للقساوة ولم يقصدوا طاعة الله ولا خلاص الخطاة من خطاياهم وكذلك الذين تأهلوا بالعدالة العلمية والعملية لان يجري الملك الصدقات على ايديهم وينصبهم للحكم بين الناس فهم معروفون بالاخيار ممدوحون فاذا استخدم الملك اولئك وهؤلاء كل واحد في ما تأهل له لا يقال ان الملك جعلهم على ما هم عليه ولا أنه اجبر اولئك على فعل القساوة وهؤلاء على عمل الرحمة . قوله ولليهود ان يعتذروا يوم القيامة بانهم انما قصدوا وعملوا ان فيه رضى الله نقول قد بينا انهم لم يقصدوا ذلك ثم نقول ان كان هذا الاعتذار منجياً فكل أهل الشرائع الحقة والباطلة يعتذرون بهذا العذر وينجون بالسواء فكل أهل ملة يعتقدون انهم على الحق المرضي لله ومن سواهم على الباطل المغضب لله واذا كان التالي باطلاً بالاجماع فالمتقدم مثله . قوله وما اوجب احد عليكم الحجة مثلي قلنا هذا يدل على انه لم يقف على ما اورده غيره من الاحتجاج في هذا المعنى ممن كان له اشتغال بعلم الكلام والفلسفة ولا على الاجوبة من امثال المحتجين

﴿ الفصل الرابع عشر في تعظيم الصليب وما بعده ﴾

قوله تضعون خشبة بايديكم ثم تعلقونها في اعناقكم فنعارضه وناسه أولاً بانهم يضعون كتابة في الجلود ويعلقونها عليهم وبغير هذا ايضاً . ثم نقول انه احد الاسباب الاربعة التي تتم بها الامور الاول كالقلم بالنسبة الى الكتابة وكما ان هذا السبب قد يكره ويكسر اذا تم به امر مكروه ومثلما لو ضرب انسان ولده بعصا ليؤدبه فقتله فانه يكسر تلك العصا ويكره رؤيتها وقد يحبها ويحتفظ بها اذا تم بها امر محبوب مثلما لو ضرب انساناً ما اعداؤه بسيوفهم ليقتلوه فوقاه درعه وهرب بمركوبه فنجا فانه حينئذ يحب ذلك الدرع وذلك المركوب ويحتفظ بهما ويكرم المركوب بزيادة في اطعامه وخدمته هكذا لما كانت آلة الصليب مستعملة في تكميل امر نافع وقد دفع الرسل ومن تبعهم بمثالها وهو الصليب اما بتشكيله باليد في الهواء او على الاعضاء واما بعمل شكله في مادة من المواد الصلبة كالخشب والذهب ليبطل فيها بصورته هواجس الشيطان وقد شفوا بهذا المثال الامراض المختلفة بقوة المصلوب على مثاله فحينئذ احببنا هذا المثال واكرمناه. ووجه آخر وهو انه لو لم يقره الرسل المؤيدون لما حصل الاتفاق على استعماله واكرامه من جميع الامم الذين امنوا على ايدي الرسل . والاصل في هذا جميعه قول المسيح له المجد في انجيله . من لم يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني

فانقدنا لهـذا الشرط بظاهره وباطنه امـا بظاهره فبحملنا مثال
الصليب اعني الذين ارادوا امنا السيرة الفاضلة كالرهبان والذين ارادوا
التظاهر بمسيحيتهم بوشم مثال الصليب على ايديهم . واما بباطنه
فتبعاً لسيدنا في قبول الآلام الى الموت في جانب طلب الحق
والافضل في الايمان والاعمال اختياراً منا وايثاراً لا تباع سيدنا
وطاعته وقولي تبعـاً يصدق في وجود ذلك في بعضنا كالشهداء
والقديسين . وأيضاً لكون المسيح كان يدعو الصليب مجداً حملنا
الصليب لنتذكر به جوده الاعظم ونمجده . اما الذين عملوا باسم
المسيح الآيات ويبعـدهم عنه في يوم القيامة فذلك لرجوعهـم عن
عمل البر الى عمل الشر . وقد بيّن هذا بقوله ابعدوا عني يا عاملي
الاثم . قوله ان زرادشت وغيره قد دعوا الى غير النصرانية بغير
رغبة ولا رهبة قلنا الا انهم لم يقبلوا من سائر اصناف الامم ولا
باصناف الآيات الالهية وما ثبتت دعوتهم دائماً وايضاً لا نسلم انها
قبلت بغير رهبة ولا رغبة ولا تمويه بحيلة سحرية ولا كلامية وتمويه
زرادشت مشهور

﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

(في بيان ان الخصم انتقل عن مذهبه الى غيره)
(باحد اسباب الباطل وفي خاتمة الكتاب)

قد تبين في الاصل العاشر ان الدين الحق الالهي انما يقبله

المنتقل اليه من غيره بالآيات من دون ساير الاسباب التي بها يقبل
الحق او الباطل ومعلوم انه لو اجتمع علماء الديانة الحقيقية كانت
اليهودية او النصرانية او الاسلامية على نقل انسان من الديانة الباطلة
كائنة ما كانت بالبراهين العلمية لم يقدروا على نقله والا لكانوا قد
نقلوا كلمن سواهم الى دينهم الذي يعدونه الدين الحق دون سواه
واللازم باطل فالملزم مثله . وانما قلنا أنهم لا يقدرون على نقله
بالعلم . لانه ان كان عالماً مجتهداً وقد علم كما تبين في الاصل الثامن
ان العلم الالهي لا يقوم عليه برهان منطقي وان الشبه ترد على الحق
الظاهر لاسيما على الخفي فلا ينتقل عما هو عليه الى ما لا يحصل له
اليقين فيه وان كان جاهلاً مقلداً فهو اما انه لا يعرف ما يقال من
البراهين العلمية واما ان يقول انما امكن هؤلاء ان يبينوا لي فساد
اعتقادي وصلاح اعتقادهم لعلمهم وجهلي ولو كان كلامهم مع علماء
مذهبي لكان الامر بالعكس . وايضاً فالوجود شاهد بان الناس
لا ينتقلون عن مذاهبهم الى غيرها ببرهان العلم وايضاً كانت العلماء
من اهل الديانة الباطلة يقدرون بالعلم المموه ان يجتذبوا اهل الديانة
الحقة الى دينهم بل كان العلماء من كل ديانة يجتذبون الجهلاء من
كل ديانة . وايضاً كان العلماء من كل ديانة باطلة ينتقلون بعلمهم
الى الديانة الحقة حتى لا يعود يوجد عالم من اهل الديانات الباطلة .
وايضاً لو صح هذا لمنح الله رسله برهان العلم ليجتذبوا به الناس
الى الايمان وابطلان هذا قال الرسول في رسالته الى كورنثس . ولم

يرسلني المسيح بحكمة الكلام كما كتب اني ابيد حكمة الحكماء ومن اجل ان بحكمة الله لم يعرف الله اهل الدنيا احب الله ان يحيي الذين يؤمنون بالمستجهل من البشرى لان المستجهل من امر الله احكم من حكمة الناس وانما اختار الله جهال اهل الدنيا ليخزي بهم الحكماء وانا حين اتيتكم يا اخوتي لم آتكم بفخامة الكلام ولا بالحكمة بشرتكم ببشرى الله وبشراي وقولي لم يكونا من اقناع حكمة الناس لكن ببرهان القوة والروح لكيلا يكون ايمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله فاما نحن فقد اعلن الله ذلك لنا بروحه لان الروح يعرف كل شيء ومن ذا الذي يعرف ما في الانسان الا روح الانسان الذي فيه وكذلك ايضاً لا يعلم احد ما في الله الا روح الله فاما نحن فلم نعط روح هذا العالم بل انما أوتينا الروح الذي من الله لنعرف العطايا التي وهب الله لنا وهذه الاشياء التي ننطق بها ليست بتعليم كلام حكمة الناس بل هي بتعليم الروح

وقال في رسالته الى رومية (ويشهد الله لي الذي أنا أخدمه بتأييد الروح في التبشير بابنه . وهذا المعنى كثير في كلامه اعني قوله للذين آمنوا على يده انما دعوتكم بالآيات ولم أبشركم بحكمة الكلام ولو بشرتكم بحكمة الكلام لابطلت مادعوتكم اليه)فاذا كان الخصم قد ادعى أنه انتقل من مذهبه الى غيره ببرهان النظر العلمي لا ببرهان الآيات الالهية مهما تقدم في بيان امتناع هذا من العقل والنقل فاما أن لا تقبل دعواه واما أن يعلم أنه انما انتقل بأحد أسباب

الباطن . اللهم اعف عنا وعنه واغفر لنا وله بكرامة من أرضاك ايمانه وأعماله انك المجيب الرحيم . اعلم أيها المؤمن المحب للعلم ان العلم هو حصول صورة المعلوم في الذهن وان الشيء انما يحصل بقدر تطلبه والتأهل له فالشبيه انما يتصل بشبيهه وان العلم الالهي مقدس فلا يحصل في غير الاذهان المقدسة من أدناس الرذائل واعتبر بقول الرب في مثل الزارع أنه لم يثمر الا في الأرض الجيدة النقية من الشوك وبقوله أيضاً طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله وبقول الرسول بولس . وأنا الآن يا اخوتي لا أستطيع أن أكلمكم كما يُكلم الروحانيون لكن كما يُكلم الجسدانيون وكالاطفال بالايمان بالمسيح غذوتكم رضاع اللبن لانكم حينئذ لم تكونوا تطيقون ذلك ولا الآن تستطيعونه من أجل أنكم بعد جسديون فاذ فيكم الحسد والشقاق والافتراء ألستم بعد جسدانيين . ويقول يوحنا الرسول . وكل من يخطيء لا يعرفه ويقول النبي في المزمور (لا تدع من فمي قول الحق لاني على أحكامك اعتمدت وحفظت سبلك) . وقوله . علمني أكثر من جميع المعلمين لاني أدرس سننك فهمت أكثر من الشيوخ لاني ابتغيت وصاياك ومنعت قدمي من كل طريق سوء لكيما احفظ كلامك) وبما ثبت عند العلماء القديسين من أن العلم الجيد يكون سبباً للعمل الصالح والعمل الصالح يصير سبباً للعلم الحق . فسبيلنا اذن أن نجتهد في تحصيل العلم الالهي بالترتيب

الحكي في التعلم وأن نتأهل مع ذلك بقبوله بالتطهر بأكثر من دنس البشر لنحصل على السعادة الحقيقية من الله تعالى . فلا شيء يحصلها لنا من جوده ويؤهلنا لقبولها من عنده تعالى غير اعتقاد الحق وعمل البر . فنسأل الله الثبوت على الحق والهداية في فهمه والعفو عما مضى والعون على ما يوجب رضاه قبل الموت لنجد رحمته في يوم الحكم المخوف ولنوجد أمامه بغير اثم ولا عيب وان يرحم جميع المؤمنين وأهل العلم اجمعين فهو المشرق شمسه على الاخيار والاشرار والممطر على الصديقين والظالمين بشفاعة ذوى الشفاعات المقبولة انه تعالى جواد رحيم له المجد والشكر دائماً كثيراً الى الابد آمين

الذي تضمنه هذا الكتاب خمسة عشر فصلا